عبد الزهراء عثمان محمد

مبادئ التربية الإسلامية

عرض مبسط للخطوط العامة

الدار الإسلامية

مبادئ التربية الإسلامية

تأليف

الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد

(عز الدين سليم رحمه الله)

عرض مبسط للخطوط العامة

تحقيق وضبط النصوص

مؤسسة الشهيد عز الدين سليم الثقافية

هوية الكتاب

اسم الكتـاب: مباديء التربية الإسلامية

المـؤلـــــف: الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد(عز الدين سليم رحمه الله)

الناشـــــر: مؤسسة الشهيد عز الدين سليم الثقافية

الطبعـــــة:

المطبعـــــة: ثامن الحجج عليهم السلام

عدد النسـخ:

تحقيـــــق: مؤسسة الشهيد عز الدين سليم رحمه الله

العراق ـ بغداد

٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى حملة مشعل العلم المتفجر بالخير والعطاء
في هذا البلد المسلم
أقدم هذا المجهود المتواضع

عز الدين

قبس من سيرة الشهيد

- ولادته
- دراسته
- مؤلفاته
- العمل الثقافي والإعلامي
- العمل السياسي
- من صفاته
- الشهيد في ساعاته الأخيرة
- مقدمة المؤسسة
- المقدمة

قبس من سيرة الشهيد

ولادته

ولد الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد رحمه الله في يوم ٢٣ آذار عام ١٩٤٣م والموافق ١٣٦٢هـ وقد كانت ولادته في يوم ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السابع عشر من ربيع الأول، حيث أن المعمول به عند شيعة أهل البيت عليهم السلام في العراق ولبنان وغيرها من بلاد المسلمين، إنهم يرجحون أن ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت في اليوم المذكور، اعتماداً على روايات أهل البيت عليهم السلام بذلك والمشهورة عند الطائفة، ويصادف هذا اليوم مولد الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المعروف بالصادق عليهم جميعاً آلاف التحية والسلام.

وكانت ولادته في قرية (الهوير) التابعة إدارياً إلى مدينة البصرة الواقعة في جنوب العراق.

كان الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد الولد البكر لوالده، وقد سماه والده (عبد الزهراء) بسب مشاهدته في المنام رؤيا قبل

ولادته بأيام، إن إنساناً ناداه بضرورة تسمية نفسه عبد الزهراء، فاعتقد أن المقصود بذلك وليده، وليس هو... وهكذا كان...

دراسته

دخل بين الرابعة والخامسة من عمره في الكتّاب لتعليم القرآن، حيث لم يكن في منطقة (الهوير) وما حولها من القرى القريبة مدرسة ابتدائية، ولا غيرها، وكانت الأمية متفشية جداً في هذه المناطق وغيرها من مناطق العراق، وفي المنطقة الجنوبية على نحو الخصوص، ولولا الكتاتيب القليلة، لانعدمت القراءة والكتابة.

وفي عام ١٩٥٢م أسست الحكومة (مدرسة الهوير الابتدائية) ودخل فيها في الصف الأول الابتدائي، وبعد إكمال دراسته الابتدائية انتقل إلى مدينة القرنة التي تبعد حوالي ٣٠كم عن محل سكنه.

أكمل الدراسة في قضاء القرنة، وحصل على شهادة المتوسطة،... ولم يكن في البصرة يوم ذاك جامعة، وإنما على الطالب البصري إذا أراد أن يكمل دراسته الجامعية أن يذهب إلى بغداد، مما اضطره إلى الدراسة في دار المعلمين.

أنهى دراسته الأكاديمية عام ١٩٦٤م ومارس مهنة التدريس في العراق والكويت في عام ١٩٦٥م إلى عام ١٩٨٠م، حيث

درّس العربية والتاريخ والاجتماعيات في المدارس وعلى مراحل مختلفة.

مؤلفاته

إهتم بالتأليف والتثقيف، وكتابة المقالات العلمية منذ عام ١٩٦٧م، حتى صدر له أول كتاب عام ١٩٦٩م، بعد مشاركته في مسابقة التأليف العالمية عن سيرة الصديقة فاطمة بنت الرسول عليها السلام حيث فاز كتابه «الزهراء فاطمة بنت محمد» بالجائزة الثانية.

ثم واصل الكتابة الفكرية والعلمية، حيث صدرت له عشرات الكتب في السيرة، العقيدة، التاريخ، السياسة، والثقافة العامة منها:

١ـ محمد رسول الله صلى الله عليه وآله عرض ميسر لسيرته الطاهرة.

٢ـ أمير المؤمنين عليه السلام عرض ميسر لسيرته الطاهرة.

٣ـ فاطمة بنت محمد عليها السلام.

٤ ـ الصديقة الزهراء عليها السلام بين المحنة والمقاومة.

٥ ـ سيرة الإمام الحسن عليه السلام.

٦ـ سيرة الإمام الحسين عليه السلام.

٧ـ خلفيات ثورة الحسين عليه السلام.

٨ـ ثورة الحسين عليه السلام قراءة جديدة.

٩ـ الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

١٠ـ سيرة الإمام الباقر عليه السلام.

١١ـ الحركة التغييرية عند الإمام الصادق عليه السلام.
١٢ـ هكذا تحدث الرضا عليه السلام.
١٣ـ الإمام الجواد عليه السلام مكانته الدينية، ظروفه السياسية.
١٤ـ المعارضة السياسية في تجربة أمير المؤمنين عليه السلام.
١٥ـ الإمامة في الرسالة الإسلامية.
١٦ـ التعددية وأخلاقية الحوار في الإسلام.
١٧ـ التعددية والحوار.
١٨ـ الشهيد الصدر رائد حركة التغيير في العراق.
١٩ـ هكذا نقرأ التاريخ.
٢٠ـ مكانة الإنسان في الإسلام.
٢١ـ دور المساجد في حياة المسلمين.
٢٢ـ أبحاث في شؤون النهضة.
٢٣ـ الحجاب الإسلامي.
٢٤ـ المرأة ودورها المغيب.
٢٥ـ المرأة في ظل المجتمع الإسلامي.
٢٦ـ أم المؤمنين خديجة بنت خوّيلد سلام الله عليها.
٢٧ـ أبو طالب الصحابي المفترى عليه.
٢٨ـ معالم على الطريق.
٢٩ـ من حصاد التجربة.

٣٠ـ حديث الغدير: رواته ـ ظروفه ـ معطياته الحضارية (الكتاب الذي فاز بالجائزة الثانية في مسابقة التأليف العالمية للكتابة عن الغدير، بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً عليه).

٣١ـ الشاه عبد العظيم الحسني: سيرته ومسنده.

٣٢ـ التربية الإسلامية: عرض للمباديء العامة.

٣٣ـ الإسلام ورسالته الخالدة (الكتاب الذي كان يطبع باسم محمد أبو المجد).

٣٤ـ آية التطهير: دراسة في المداليل والأهداف.

٣٥ـ سيرة الأئمة عليهم السلام محاولة لتقويم المنهج.

٣٦ـ العقدة القرشية في حركة أحداث التاريخ.

٣٧ـ قضايا وأبحاث سياسية.

٣٨ـ الفقر دراسة وعلاج.

٣٩ـ تلخيص كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق.

٤٠ ـ تحقيق كتاب الملهوف على قتلى الطفوف.

٤١ـ الشباب مشاكل وحلول.

٤٢ ـ القيمة الحضارية للشريعة الإسلامية.

٤٣ ـ تفسير سورة القدر.

٤٤ـ تفسير سورة التوحيد.

٤٥ـ تفسير سورة التكاثر.

٤٦ـ تفسير سورة الكوثر.

٤٧ـ مكانة الصحابة عند المسلمين.

٤٨ـ هل يحتاج القرآن إلى قيم.

٤٩ـ الاختلاف المركزي بين السنة والشيعة.

٥٠ـ من بنود منهاج الأئمة عليهم السلام في البناء والتغيير.

٥١ـ المفاصل الرئيسية لقضية الإمامة من خلال حديث الإمام الصادق عليه السلام.

٥٢ـ المرأة التي زوجها الله.

٥٣ـ حول تشكيل العقل السليم.

٥٤ـ الثورة الإسلامية في إيران من منظور حضاري.

٥٥ـ ضوء على خط السير.

٥٦ـ لماذا الصوم؟

٥٧ـ وصية الإمام علي عليه السلام لولده محمد بن الحنفية.

٥٨ـ بين المساواة والمرونة.

٥٩ـ الهدف والأسلوب.

٦٠ـ صفحات من أيامي (الكتاب الذي أوصى بطبعه بعد وفاته).

٦١ـ حوارات في الحركة الإسلامية المعاصرة (الكتاب الذي أوصى بطبعه بعد وفاته).

٦٢ـ التحرك الإسلامي في مدينة البصرة.

٦٣ـ نهج البلاغة ـ النصوص الكاملة.

٦٤ـ الإسلام مباديء وتطبيقات.

٦٥ـ تاريخ الشيعة المعاصر.

وهناك مجموعة كبيرة من الأبحاث والدراسات والكراسات التي سوف تنشر ضمن سلسلة (هذا بلاغ للناس) في مؤسسة الشهيد عز الدين سليم الثقافية، منها:

١ـ الإنفاق في الشريعة الإسلامية.

٢ـ التبشير.

٣ـ الأصالة والتجديد.

٤ـ قضية النبوة من خلال المنطق العلمي.

٥ـ الإمامة لماذا وإلى أين؟

٦ـ دعوة محمد ﷺ: دراسة في الوسائل.

٧ـ الحج.

٨ـ على طريق النهضة.

٩ـ حول مفهوم الانغلاق على الذّات.

١٠ـ صلح الإمام الحسن عليه السلام.

١١ـ نظرة قرآنية للعمل الاجتماعي.

١٢ـ موقفنا من المصطلحات الحديثة.

١٣ـ هوامش على دفتر التاريخ.

١٤ـ التاريخ يعيد نفسه.

١٥ـ النية: المعيار الإسلامي لتقييم العمل.

١٦ـ حول عبد الله بن سبأ.

١٧ـ تعدد الرسالات.

١٨ـ العبادة في الإسلام: الأبعاد والمضامين.

العمل الثقافي والإعلامي

منذ الستينيات عرف الشهيد عز الدين سليم في الصحف والمجلات الثقافية في العراق والكويت ولبنان، نذكر منها:

١ـ مجلة التضامن الإسلامي ـ النجف الأشرف.

٢ـ مجلة رسالة الإسلام ـ بغداد.

٣ـ مجلة المنطلق ـ بيروت.

٤ـ مجلة الجهاد ـ طهران.

٥ـ مجلة رسالة التقريب ـ طهران.

٦ـ مجلة رسالة الثقلين ـ طهران.

٧ـ أشرف على إصدار صحيفة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق الصادرة في طهران اثنتي عشر عاماً اعتباراً من عام ١٩٨٣م.

٨ـ كان عضواً في هيئة تحرير مجلة التقريب بين المذاهب الإسلامية لعدة سنوات ثم رئيساً لها في طهران.

٩ـ كان الشهيد أحد المؤسسين لدار التوحيد في الكويت والذي تغير اسمه بدار البلاغ في طهران فيما بعد، وله العشرات من المؤلفات في ذلك المركز الثقافي.

١٠ـ ساهم في كتابة كثير من الصحف والمجلات السياسية، والثقافية، والدينية وله مئات الأبحاث المنشورة في تلك المنابر.

١١ـ كان أحد المشرفين على المركز الإسلامي للدراسات السياسية الذي أسس في طهران منذ عام ١٩٨١م، بواسطة عدد من المثقفين العراقيين المهاجرين، وكانت له عشرات الأبحاث السياسية «التقرير السياسي» الذي كان يصدره المركز لعدة سنوات.

١٢ـ أشرف على كتابة رسائل علمية في مرحلة الماجستير والدكتوراه.

١٣ـ أسس المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية في مدينة البصرة بعد سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣م.

١٤ـ له المئات من المحاضرات المسجلة التي ألقاها على الكادر الإسلامي في مجال العقيدة، والسيرة، والتاريخ، والفقه، والسياسية.

العمل السياسي

● إنتمى في أثناء دراسته الأكاديمية إلى الحركة الإسلامية، إذ مارس العمل السياسي التنظيمي منذ بدايات شبابه، وسجن مرات عديدة أيام العهد البعثي البائد، حتى صدر عليه حكم الإعدام مما اضطره إلى مغادرة الوطن وممارسة نشاطه العلمي والسياسي خارج العراق بأسماء مستعارة، كمحمد أبو المجد

وفرج الله منتظر وعبد الله سعيد العبادي ومحمد مزهر وأشهرها عز الدين سليم.

● وفي عام ١٩٦١م، عمل الشهيد عز الدين سليم ضمن تنظيم (الدعوة الإسلامية) في العراق الذي عرف إعلامياً بحزب الدعوة فيما بعد وتدرج في التنظيم حتى أصبح أحد قياديه. في عام ١٩٧٥م أعتقل في محافظة البصرة ونقل إلى مديرية أمن الديوانية بتهمة انتمائه للتنظيم المذكور ثم أطلق سراحه بأعجوبة بعد عدم التعرف على شخصيته، وطُورد في نهاية نفس العام مرة ثانية، مما اضطره إلى الهجرة خارج العراق.

● غادر العراق إلى الكويت سراً وعاش فيها خمس سنوات وباشر العمل ضد النظام المقبور مع عدد من الناشطين العراقيين، وبعد انكشاف عملهم غادر إلى إيران في بداية عام ١٩٨٠م.

● في عام ١٩٨٠م ظهرت اختلافات في قيادة الدعوة، فشكّل الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد ومجموعة من العاملين (حركة الدعوة الإسلامية) في العراق اعتباراً من عام ١٩٨٠م، وإلى آخر عمره الشريف كان يعمل في صفوفها.

● عمل الشهيد عضواً في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق منذ تأسيسه عام ١٩٨٣م.

● ثم تسلم مسؤولية الإشراف على إعلام المجلس الأعلى لأكثر من خمسة عشر عاماً.

● كان عضواً في الشورى المركزية للمجلس الأعلى أكثر من عشر سنوات، ومسؤولاً للجنة الثقافية المركزية في المجلس.

● ترك العمل في المجلس الأعلى عام ٢٠٠١م.

● كان الشهيد أبي ياسين أحد المؤسسين لاتحاد القوى الإسلامية العراقية الذي تأسس في طهران، ثم صار أميناً عام للاتحاد.

● شارك في فعّاليات المعارضة الوطنية في المهجر، حيث كان عضواً في مؤتمر صلاح الدين عام ١٩٩٢م، وكان عضواً في مجلسه التنفيذي، وشارك في اجتماعات السليمانية التداولية.

● ثم شارك في اللجنة التحضيرية لمؤتمر لندن الذي عقد قبل سقوط الطاغية.

● وتمّ اختيار الشهيد أبو ياسين عضواً في لجنة المتابعة والتنسيق التي انبثقت من مؤتمر لندن وحضر اجتماعها الأول في أربيل قبل سقوط النظام البائد بأسابيع.

● عاد إلى العراق في ٢٠٠٣/٥/١٧م وقد استقبل استقبالاً حاشداً من قبل الجماهير.

● كان الشهيد عز الدين سليم عضواً في مجلس الحكم العراقي منذ تأسيسه حتى استشهاده.

● كان الشهيد أبو ياسين أحد المؤسسين للبيت الإسلامي الذي تأسس في بغداد بعد سقوط الطاغية.

● تسلم رئاسة مجلس الحكم العراقي في ٢٠٠٤/٥/١م، أثر تصويت أكثرية أعضاء المجلس لرئاسته.

● أُغتيل الشهيد عز الدين سليم في صباح يوم الاثنين المصادف ٢٠٠٤/٥/١٧م، في نفس التاريخ الذي دخل فيه أرض الوطن قبل عام، ومعه رفيق دربه وصديقه الحميم الشهيد الحاج طالب قاسم الحجامي «أبو محمد العامري»، وابن أخيه الشهيد ابن الشهيد أسعد عبد الإمام عثمان، وأربعة من الحماية الشخصية هم: الشهيد نزار حسين، الشهيد حسين نعمة خلف، الشهيد صادق جعفر، الشهيد علي صبار، أثر حادث أليم على يد حفنة غاشمة من الإرهابيين.

من صفاته التي يشهد بها كل من عايشه

● المثابرة والجدية وعدم الميل إلى الراحة.

● التواضع والبساطة في المسكن والملبس والمأكل.

● عدم حبه للمناصب والظهور الإعلامي.

● الإيثار والتضحية بحيث يحب لغيره أكثر مما يحب لنفسه.

● إهتمامه بالشباب بحيث يقطع مسافات طويلة من أجل اللقاء بشاب أو مجموعة من الشباب.

● كان الشهيد أبي ياسين دمث الأخلاق وذو فكاهة جميلة، بحيث يسر ويريح سامعه ومحدثه وجليسه.

- كان الشهيد عز الدين سليم يكثر من مجالسة الفقراء والمستضعفين وعموم الناس.
- كانت علاقة الشهيد بشرائح المجتمع أكثر من علاقته بذوي المناصب والقيادات.
- كان يفد الآخرين على نفسه بل على أولاده وعائلته.
- كانت جهوده لكل العراقيين، ويفديهم بكل شيء، وإن كانت حياته.
- كان يقدم الدين على العمل السياسي وهو صاحب النظرية المعروفة تدين السياسية، لا تسييس الدين.
- تفانيه من أجل الدين واضح جداً حيث كان الشهيد رائد فكرة مكافحة الطائفية، ونظرية حكومة الإنسان.
- كان الشهيد ينسى المواقف السلبية تجاهه ولا يرتب عليها آثاراً على الإطلاق.
- من أخلاقه ﷺ ينصح من استنصحه حتى لو كان خصمه.

الشهيد في ساعاته الأخيرة

تحدّثت مؤسسة الشهيد عز الدين سليم الثقافية مع ياسر أبن الشهيد الذي كان مرافقاً له حتى الساعات الأخيرة من عمره.

م: صف لنا آخر يوم قضيته مع الشهيد؟

ياسر: أريد أن أنقلكم إلى ما قبل ذلك بثلاثة أيام أو أربع حيث سافرنا صباح يوم الجمعة إلى كردستان للقاء الأخضر الإبراهيمي وبعض المسؤولين، وفي الليلة الثانية أي مساء السبت جلست معه على انفراد، فـقال لي﵀: ياسر ائتني بورقة وقلم واكتب ما أقول إليك.

هذه الصيغة لم أعهدها من قبل.. وأحسست حينها أن الحاج يعتقد أنه سوف يفارق الحياة؛ ولا أعلم انه لم يبق على استشهاده سوى يومان.. مسكت القلم، وبدأ يملي عليّ:

أولاً: كتاب مكانة الإنسان في الإسلام.

ثانياً: كيف ندعو إلى الله تعالى.

هذه الكتب لم استطع إكمالها أكملوها من بعدي أنا متأكد أنها سوف تنفع المجتمع الإسلامي وبالأخص كيف ندعو إلى الله تعالى فهو كتاب يعطي الصورة الحقيقية والواقعية للإسلام وخصوصاً إذا وصل إلى الغرب فسوف يغير الكثير من وجهات النظر المغايرة للإسلام، وأملى علي في هذه الليلة أموراً خاصة كذلك، فأيقنت حينها أنه يوصي.

رجعنا يوم الأحد إلى بغداد فكان في استقبالنا الحاج الشهيد طالب قاسم الحجامي (أبو محمد العامري) مساعد الشهيد، كان الشهيدان يحب أحدهما الآخر حباً شديداً، وكأن أحدهما لم ير الآخر منذ سنوات حين التقيا، الشهيد أبو محمد كان ذا شخصية

شبيهة بالحاج أبي ياسين﵀كان يحب الخير للجميع ووطني شجاع.... الخ، ولا يسعني في هذه العجالة أن أذكر بعداً واحداً من أبعاد هذه الشخصية الفريدة.

سألت الحاج عند قدومنا من كردستان: هل تذهب إلى تونس؟

حيث من المقرر أن يذهب رئيس مجلس الحكم إلى تونس ليمثل دولة العراق في مؤتمر القمة العربية وهذا ما صرح به وزير الخارجية العراقي، وكل أَمور السفر مهيّأة حتى جواز سفره ومرافقيه، ولكنه فاجأني: على الأكثر إني لا أذهب.

كان الشهيد متفائلاً بخصوص مستقبل العراق وكان يقول: أن الأرض التي يدفن فيها ستة معصومين هي أرض غير طبيعية وذرات ترابها اختلطت بدماء ودموع عقائل بني هاشم ودماء آل البيت﵈وأجساد أفضل خلق الله على الكون فلا يمكن أن يتركها الله هكذا، ويعتقد بأن مؤامرة على العراق تحاك من قبل دول عظمى وكذلك إقليمية البعض يجهلها ولكني أراها بكل وضوح فلا بد من مشاركة إخواننا لتفويت الفرصة على الآخرين.

على العموم بتّ آخر ليلة مع الحاج وهي ليلة استشهاده فكان متعباً جداً ولكنه في أثناء المنام استيقظ كثيراً وليس على عادته لأنه إذا كان متعباً لا يستيقظ إلا إذا قرب الفجر.

كنت منهكاً جداً من السفر فأحس انه يستيقظ بين الحينة والأخرى ولكن لا أعلم ماذا يفعل فكان لديه هدوء مريب وشيء من الحيرة.

عند أذان الفجر تركته يصلي ونمت ولم استيقظ حتى الساعة الثامنة والنصف، عندها وجدته قد ارتدى لباسه وتهيأ للخروج، كان من المقرر أن أذهب معه إلى مجلس الحكم لبعض الإداريات وكذلك أخي رضا، وقلت له انتظرني حتى أكوي القميص فلم ينتظرني.

أخي رضا كان يقول: شيء يلزم قدمي عن الذهاب ولا أعلم ما هو، وكان يقول كنت أظنك مثلي وأعتقد بأنك كنت تتهرب من الذهاب لأن قميصك قد كويته أنا منذ البارحة.

أما أسعد ابن عمي وسكرتيره الخاص فكان لا يذهب ولا يركب في سيارة واحدة مع الشهيد أما هذه المرة انتظروه حتى أصعدوه معهم.

والغريب إن الحاج أبي محمد العامري له سيارة خاصة يذهب بها، ولكن ما إن هموا بالخروج حتى أتى أبو محمد وقال أريد أن أركب معكم، اعترضه بعض الحماية الشخصيين؛ لكنه قال: ألا تريدونني أن أموت مع أبي ياسين؟

نعم.. ذهبوا والمنايا تنتظرهم ولا عودة بعد ذلك...

عندما حصل الحادث وجدنا الحاج مرمياً على بعد ٢٥متراً وجسده سالم بأكمله سوى خدش بسيط في جبهته يسيل منه دم قليل، وصلنا إليه قال: إنني حي إذهبوا إلى أسعد وكان يكرر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. بعد ذلك بربع ساعة انتقل إلى رحمة الله تعالى.

يقول ياسر: ثمة موقف لم أنسه ولا أنساه طيلة أيام حياتي هو أني عندما بدأت بتغسيل والدي وجدت أضلاعه قد تكسرت، انتقل ذهني في هذه الأثناء إلى ما قبل يومين حيث الأخضر الإبراهيمي ومسعود والشهيد كانوا يتكلمون في جلسة غير رسمية عن الإرهاب، كان الكلام يدور بين الشخصين، أما الحاج فكان يصغي لهم بكل جوارحه... ثم اعترضهم قائلاً: دعوني أخبركم عن تأريخ الإرهاب... بدأ الإرهاب قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة عندما استشهد الإمام الحسين عليه السلام على يد زمرة من الإرهابيين، الذين لم يكتفوا بقتله وسبي عياله وحرق خيامه و.... بل ذهبوا إلى قطع إصبعه لاستئصال الخاتم منه... ثم بدأت علامات الاضطراب على الشهيد جلية، وكأنه يروي مأتم أبي عبد الله الحسين عليه السلام في العاشر من المحرم وبدأ يتكلم بحرقة ومرارة وألم، وتأوه قائلاً: وعند ذلك أتوا بخيولهم ورضوا صدره الشريف بحوافر خيلهم حتى رضت أضلعه، فأي إرهاب هذا....؟

هنيئاً لك عندما تكسرت أضلعك يا أبا ياسين كما تكسرت أضلع من أحببت من قِبل أرذل خلق الله.

حشرك الله معهم وأنت تكتب جل مؤلفاتك حول جهادهم وتراثهم وكراماتهم.

هنيئاً لك وأنت لا تجلس في مجلس أو تتحدث بحديث حتى تذكر مظلوميتهم بين المحب والمبغض.

هنيئاً لك وأنت لم تساوم ولن تجامل على حساب عقيدتك ومبادئك مهما كانت الظروف.

رحمك الله يا أبا ياسين

مقدمة المؤسسة

مقدمة

لعل من أكثر الأمور خطورة في المرحلة الراهنة أن تختفي المتبنيات الإسلامية في الفكر، والتشريع، والعمل في دنيا المراحل الدراسية التي يمر بها الطالب المسلم منذ طفولته حتى تخرجه من أعلى معهد أكاديمي، أو مهني في الوقت الذي يتلقى النظريات الغربية، والشرقية البالية منها، والمعاصرة، كبديل لذلك، وفي شتى مناحي الحياة، في الفلسفة، والتشريع، والتربية، والأخلاق، ونحو ذلك.

ومن هنا فإن الأمر لا يدعو إلى إثارة العجب كثيراً إذا أهمل ـ في كافة المراحل الدراسية التي يمر بها الطالب المسلم ـ شأن المنهج الإسلامي المتبنى في التربية، فهو أسوة بسواه من المفاهيم، والتصورات، والمتبنيات الإسلامية التي لم يلق إليها بال بأي شكل من الأشكال، وهي مسألة لا تختص ببلد مسلم دون بلد مسلم آخر، إنما هي ذات صفة شمولية..، نستثني من ذلك الدولة الإسلامية في إيران التي أعادت التربية الإسلامية إلى

موقعها في مناهج الدراسة، وفي دنيا التعليم، والتربية بعد الثورة الثقافية الكبرى، التي أعقبت انتصار الثورة الإسلامية العظيمة.

بيد أن المسألة بالنسبة لمنهج التربية الإسلامية تبدو أكثر غرابة من سواها، إذ المفروض أن يعرض المنهج المذكور بصفة سرد تاريخي على الأقل إذا أخذ من خلال الدفعات المتلاحقة من الأجيال التي صيغت على عين الإسلام ـ يوم كان مالكاً لمركز الثقل في الأرض ـ على شكل قادة فتوح، وأئمة مذاهب، وساسة حكم، وفلاسفة، ومحدثين، وأدباء، وعلماء، و..و...

حيث كانت أنماط سلوكهم وأفكارهم تسير على نسق واحد بحكم كونها تنهل من منهل واحد.

فكيف خلقت تلك الجموع الرائدة في الفكر، والعمل عبر مئات من السنين إن لم يكن للإسلام منهجه التربوي الذي يكتنف الروح، ويصوغ الذهن، ويتغلغل في أغوار النفس، فيبلور المشاعر، ويوجه السلوكيات؟

أقول لقد كان حرياً ـ على الأقل ـ أن ينظر إلى الإسلام من خلال التاريخ، وهو يصنع الجيل تلو الجيل دون هوادة، أو فتور، حتى عصفت بكيانه الدولي، والسياسي العواصف الهوج كنتيجة لخلو الميدان العملي من القادة المبتدئين المؤهلين لحمل المشعل المتفجر بالنور والخير والعطاء!

إلا أن المألوف فعلاً غير هذا...

وبالرغم من أن إهمال دراسة الجانب التربوي في الإسلام في شتى مراحل الدراسة ظاهرة خطيرة مقصودة، فإن عوامل أخرى قد ساهمت في حدود معينة في طرح الوجود العملي للظاهرة المذكورة، ويمكن أن نجملها بالنقاط التالية:

١ـ إن المنهج التربوي المتبنى من لدن الرسالة الإسلامية لم يأت على الطريقة التي صيغت بها النظريات التربوية المعاصرة التي عرضت في مؤلفات، أو مقالات التربويين المعاصرين، وإنما ورد المنهج التربوي الإسلامي على طريقة القرآن المألوفة في عرضه للأفكار، والمفاهيم، حيث يتداخل في أسلوب العرض من خلال السورة الواحدة، أو آية أحياناً غير واحد من الأغراض على الأغلب.

فقد يرد ـ في سورة قرآنية واحدة ـ نص سياسي، فيعقبه نص اقتصادي، ويليه تعليم اجتماعي، ومن ثم تشريع جنائي وهكذا...

﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ۞ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ۞ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً

سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ۞ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا۞ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ۞ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيراً﴾[1].

والنص القرآني الذي أوردناه إنما يمثل واحداً من عشرات الأمثلة، بل المئات من الأمثلة التي تعكس طبيعة الأسلوب القرآني في عرضه للأفكار، والمفاهيم الإسلامية، ذلك الأسلوب الذي انفرد به القرآن الكريم في عملية البناء الفكري، والاجتماعي للأمة التي تنزل من أجل صنعها[2].

وهذه ظاهرة لا تنقص من القيمة العملية للمنهج التربوي في الإسلام كما قد يعتقد، وإنما هي مسألة تعد من خصائص الأسلوب القرآني الأساسية في عرضه للقضايا، والقواعد، والأحكام حسب حاجة الأمة خلال دورة اجتماعية كاملة امتدت

---

(١) النساء: ٨٣-٨٩.

(٢) يراجع لهذا الغرض سورة البقرة والمائدة والتوبة وغيرها.

قرابة ربع قرن من الزمان، فأن كانت المسألة ذات علاقة بشأن فردي نزلت الآية، والآيات للغرض ذاته.

وإن كانت الحاجة تتعلق بأمر عسكري جاءت الآية والآيات من أجلها.

وكذا بالنسبة لكل متطلبات الإنسان ومعاناته.

ونحن إذا نظرنا إلى الأسلوب القرآني من وجهة تربوية، لألفينا فيه منهجاً تربوياً يحتل القمة، لأن الغاية من التربية إنما هي إعداد الإنسان بقصد تقريبه إلى الكمال الطبيعي[1] على شتى المستويات، في الأخلاق، والفلسفة، والمجتمع، والأسرة، والحكم، وغيرها مما سيتضح في تبيان مدلول التربية بعد قليل ـ وهذا ما قصده القرآن فعلاً في أسلوب عرضه الخاص ـ وإلا فما الذي تهدف إليه التربية ـ يا ترى ـ بعد هذا الإعداد التربوي الشامل؟!

٢ـ أن من بين العوامل التي ساهمت في إهمال شأن المنهج الإسلامي في التربية في المجالات الثقافية المعاصرة هو غياب الكيان الاجتماعي والسياسي للمسلمين كافة، وللإسلام كرسالة ومنهج حياة.

وما استتبعه من اختفاء إنسان الإسلام عن المسرح الحياتي حيث لم يعد يرى منذ قرابة قرن من الزمان وهو يصنع التاريخ

---

(١) النظام التربوي في الإسلام: ٤، باقر شريف القرشي.

ويدفع عجلته باتجاه خدمة أهدافه الرسالية على ظهر هذا الكوكب، على أن هذا الأمر لا يوجب إهمال شأن المتبنيات الإسلامية في الفكر والعمل إلى هذا الحد المتعسف، وإن كان الكيان الاجتماعي السياسي ـ في مجال التطبيق ـ يعكس الوجه الطبيعي لأية أطروحة اجتماعية غالباً، ويفرض بالضرورة أفكاره ومفاهيمه الرسالية على المدى الذي تبلغه تلك الأطروحة على المستوى الإقليمي، أو القومي، أو الأممي.

إلا أن قضيتنا ـ قضية الإهمال المتعمد لشأن التربية الإسلامية ـ لم تنطبق إلا على المذهب الإسلامي في حقول الدراسة المعاصرة في عالمنا، فكم من أمم بادت وعفا على آثارها الزمن، وما زالت نظرياتها في الفلسفة والتربية والأخلاق ـ كاليونان والرومان في مثالنا ـ تتصدر مناهج التدريس في حين لم يمض على سقوط آخر كيان إسلامي اجتماعي سياسي غير بضع عشرات من السنين[1]، فلم هذا الإهمال لشأن فلسفة التربية الإسلامية والإسلام كرسالة ما زال غضاً ينبض بالحياة؟!

٣ـ قد يعلل البعض هذه الجفوة بين المذهب الإسلامي في التربيـة، ومناهـج الدراسة التربوية المعاصـرة بعـدم ورود إسـم

(١) تم إلغاء الخلافة الإسلامية في تركية بتاريخ ٣ آذار سنة ١٩٢٤م، حيث نفي عبد المجيد آخر خليفة عثماني باتجاه سويسرا. يراجع: (كيف هدمت الخلافة) عبد القديم زلوم في ص١٩٨ ط١٩٦٢م.

التربية بمدلولاتها، ومصطلحاتها الحديثة في إطار الشريعة الإسلامية، وهو حق في ظاهره، ولكنه باطل في جوهره وبنائه، فإن المصطلحات العلمية المحددة لمدلول التربية لم ترد في الشريعة قطعاً، كما لم يرد فيها أي مصطلح علمي آخر في الحقل السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو غيرها، الأمر الذي يعد طبيعياً في دنيا المذاهب الاجتماعية، إذ ليس في مهامها أن تحدد المعاني والمصطلحات، وإنما تركت ذلك للغة والعلم، ومهماتها الأساسية إنما تنصب على وضع الأطروحة ـ أية أطروحة ـ اجتماعية كانت، أم سياسية، أم تربوية، أم نحوها، ولتأتِ بعد ذلك المصطلحات وفن التعريف ما دامت الأطروحة قد عرضت نفسها للتطبيق.

وهذه مسألة تندرج تحتها أطروحة الإسلام في التربية، فقد جاءت أطروحة عامة وشاملة لكل ما يحقق المستوى اللائق للإنسان فرداً وجماعة ـ كما سيتضح في عرض معالمها بعد قليل ـ

ومن هنا فإن الفجوة القائمة بين منهج التربية الإسلامي ومناهج الدراسة المعاصرة، والخاصة بشأن المناهج التربوية تعتبر غير عادلة إن كانت بسبب المصطلحات والمدلولات والأسماء، إذ المفروض تحري الأطروحة ليحكم لها أم عليها.

٤ـ إن إهمال شأن المنهج الإسلامي في التربية إنما جاء بسبب الاعتقاد السائد لدى الكثير من رجال التربية من أن الإسلام لم يكن سوى دين تعبدي ينحصر في سلوكيات مسجدية، ومفاهيم تتعلق بالروح والقلب وما بعد الموت، وهو اعتقاد وفد إلى هذه الأرض مع الغزو الاستعماري البغيض في مطلع هذا القرن، حيث اعتاد الإنسان الأوروبي الغازي أن يفصل بين الدين والحياة بسبب مواقف خاطئة وقفها رجال الدين والكنيسة هناك لسنا بصدد ذكرها هنا[١].

وهذا التصور الوافد الذي أقحم على الإسلام الحنيف جزافاً ليس له نصيب من الصحة إطلاقاً، فالإسلام في إطار حقيقته دين يكتنف الدنيا والآخرة، الفرد والمجتمع، الحكم والاقتصاد، الحرب والسلم و.. و.. و هو تخطيط حضاري شامل لكل شؤون الإنسان وحاجاته ومتطلباته[٢]، وبناء على ذلك تسنى له أن يصنع على عينه أمّة لها مفاهيمها وسلوكها وأنماط تفكيرها ومشاعرها وتصوراتها الخاصة، مما يدل على كونه منهجاً في التربية شاملاً لكل مطالب الإنسان وحاجاته الفطرية والعصرية ـ كما يتجلى في معالمها ـ

(١) معركة التقاليد: (فصل جولة مع التاريخ)، محمد قطب.

(٢) الدستور القرآني في شؤون الحياة: د. محمد عزة دروزة.

مدلول التربية وأهدافها

لابد لأجل خوض غمار الحديث عن منهج تربوي ما، أن نحدد مدلول التربية العام، وما تهدف إلى تحقيقه، معتمدين في ذلك على آراء كبار المربين العالميين في هذه المسألة، فقد قال كنت الألماني ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ بهذا الصدد: «الغرض من التربية أن نصل بالإنسان إلى الكمال الممكن»[١].

وقال بستالوتزي السويسري ١٧٤٦ـ١٨٢٧: «التربية هي تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة متلائمة»[٢].

وقال هربرت ١٧٧٦ـ١٨٤١: «إن الغرض من التربية هو تهذيب الأخلاق وانتساب الفضائل»[٣].

وقال ثورندايك: «إن التربية أعظم مساعد للناس جميعاً على تحقيق خيرهم المطلق»[٤].

---

(١) المدخل في التربية: ١١، د. جابر العمر، ط١، مط المعارف بغداد ١٩٥٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) النظام التربوي: ٣٩، نقلاً عن الجامع في التربية العامة.

وقال جون ديوي ١٨٥٩ـ١٩٥٢: «والتربية هي صوغ وتكوين لفعالية الأفراد، ثم صبّها في قوالب معينة، أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول من الجماعة»[١].

وقد عرف التربية غير هؤلاء من الفلاسفة والمربين المحدثين بما يشبه هذه الآراء التي عرضناها[٢] على أن الذي تعنيه تلك التعريفات هو إبراز وظيفة التربية التي تنصب «على إعداد الفرد إعداداً صالحاً للحياة الاجتماعية الهادفة وما تتميز به هذه الحياة من حضارة، وفقاً لأطر مذهبية وفكرية معينة»[٣].

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار كون الإسلام مذهباً معيناً في الفكر والمجتمع والعمل والتصورات[٤]، فإن التربية التي يهدف إلى تحقيقها قطعاً هي إعداد الإنسان وفقاً لأفكاره ومفاهيمه عن الكون والحياة والمجتمع، ومن هنا فإن التربية الإسلامية بغض النظر عن أبعادها وشمولها، تلتقي وسواها من مناهج التربية في كونها تعمل على صياغة الفرد والجماعة وفقاً لإطار حضاري معين، وهو الحضارة الإسلامية في مرتكزاتها الفكرية ومتبنياتها في التشريع والعمل.

---

(١) المصدر السابق: ٧٧ وما بعدها.

(٢) المدخل في التربية: ١٤٩.

(٣) منهج التربية عند الإمام: ٣٠.

(٤) الدستور القرآني في شؤون الحياة.

المعالم الأساسية للتربية الإسلامية

من الضروري أن نؤكد ابتداء أن أي منهج تربوي إنما يأخذ امتداده وسعته وصبغته من الرسالة التي تتبناه أسلوباً لإخراجها من الإطار النظري إلى الواقع العملي، ومن هنا فقد تباينت المناهج التربوية فيما بينها وفقاً لهذا المنطق، عمقاً وسعة واستيعاباً، وفقاً لهذه المسلمة، فقد شهدت البشرية مناهج تربوية سلبية وغير واقعية، مجافية للفطرة وقاتلة لأشواق الإنسان وتطلعاته، على أنها قد عاشت شطراً من عمرها تحت ظلال مناهج إيجابية متسقة مع مطالب الإنسان وضروراته وطموحاته، وبناء على ذلك لابد لنا من إبراز المرتكزات الأساسية للمنهج الإسلامي في التربية لنلمس العلامة الفارقة التي تميزه عن سواه من مناهج التربية وأبرز سمات منهجنا ما يلي:

١. الإيجابية

تهدف الإيجابية التي اتخذها الإسلام علامة فارقة أساسية تميزه عن سواه من المناهج الاجتماعية إلى أخذ الإنسان على طبيعته، والاعتراف بكل طاقاته ونزعاته وأشواقه المادية والروحية على حد سواء دون الإغراق في تنمية جانب على حساب الآخر[١]، إنما تجري العملية في منطقه على أساس أن كل جانب في هذا الكائن الإنساني حاجة حياتية، يؤدي النكوص عن تلبية ندائها إلى ازورار في مسيرة هذا الكائن، مما يؤدي إلى عدم توازنه، ومن ثم شقائه بحرمانه من التمتع بنعمة أسبغها الله سبحانه عليه وتعطيلها دون مسوّغ، وهو داء أصيبت به مذاهب كثيرة منذ مطلع حياة الإنسان المجتمعي حتى يومنا هذا، فقد أغرقت المسيحية والمذاهب الصوفية قبلها وبعدها في ترجيح كفة الجانب الروحي في الإنسان على حساب غرائزه المادية في الميل لجمع المال والجنس وسواهما، وعملت على وضع الإنسان في إطار محموم من التصوف والعزوف عن الحياة وطيباتها، وكردّ فعل لذلك الاتجاه الحضاري في دنيا الإنسان، ولدت النزعة المادية المحضة التي أهملت الجانب الروحي

(١) منهج التربية الإسلامية: ٣٢، محمد قطب.

وأشواق الإنسان المعنوية، وطفقت تعمل وسعها على تنمية الجانب المادي منه بكل وسيلة، كما لو كان هدف الإنسان ومصيره في الحياة، وقد مثّلت هذا الاتجاه المادي الحضارة الرومانية قديماً، والمذاهب الاجتماعية في أوروبا المعاصرة، ولقد كانت حصيلة تجسيد هذه المذاهب في حياة الناس أن خسر الإنسان كثيراً من طاقاته الخيرة البناءة، فورث القلق والاضطراب المروع في حياته، بيد أن الإسلام قد تجاوز غلو الحضارتين من خلال العامل الإيجابي الذي تبناه علامة مميزة وسمة ملازمة لكل خطوطه الفكرية والتشريعية دون استثناء.

وبمقدورنا أن نستلهم طبيعة الروح الإيجابية الإسلامية من خلال الدراسة المقتضبة الآتية لبعض مواقفه الفكرية، والتشريعية من المطالب الحياتية للإنسان:

أ ـ موقفه من الأشواق الروحية ومطالبها

الجانب الروحي في النوع الإنساني حقيقة موضوعية لا ينكرها إلا المكابرون، ويتجلى بعض هذه الحقيقة الحياتية في جوعة الإنسان إلى التدين، حيث عبر هذا الميل الإنساني عن وجوده بحمل الإنسان عبر تأريخه الطويل على عبادة شيء ما والتعلق به أنى كان ذلك، ومن أجل ذلك تعددت الآلهة على مر الزمن والأجيال، فالتاريخ البشري لا يتناول استعراض حياة

شعب من شعوب الأرض، أو أمة من الأمم، إلا ويشير إلى الإله الذي عبدت[١]، والقوة التي قدست، حيث تراوحت الآلهة خلال الحقب التاريخية المتعاقبة بين عبادة النجوم، والشمس، والقمر، والنار، والماء، والحجارة، وتقديس الأبطال، وعبادة الله سبحانه وتعالى، ونحن لا يهمّنا هنا نوع العبادة بقدر ما يهمّنا وجود الجانب التديني لدى الإنسان الذي يتطلب الإشباع، كما تتطلب الغرائز المادية الإشباع سواء بسواء، وان اختلف نوع الإشباع بين الجانبين، وعن حقيقة هذا الكائن الإنساني وتركيبه تحدث القرآن الكريم: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[٢].

إذ أشاد القرآن هنا بأجلى صور التعبير وأدقها إلى أن الإنسان، إنما خلق من قبضة من تراب ونفخة من روح، وهو تمثيل دقيق ورائع عن حقيقة تكوينه وما يحمل من طاقات، فإن اللغة السائدة يومئذ كانت لا تسمح بأكثر من هذه الدقة في التعبير، فالتراب في المنطق القرآني يشير إلى الغرائز، والصفات المادية التي ينطوي عليها الكائن الإنساني، في حين عبرت نفخة الروح عن الأشواق الروحية (اللامادية) التي ينطوي هو عليها، على أن إيجابية التربية ليس من شأنها أن تهمل جانباً هو من الركائز

---

(١) الإسلام، ينابيعه، مناهجه، غاياته: ٣٢ و٣٣، محمد أمين زين الدين.

(٢) ص: ٧١-٧٢.

الأساسية في بناء الإنسان لحساب جانب آخر، ومن أجل ذلك جاءت الأطروحة الإسلامية المنصبة على تنمية هذا الجانب من النوع الإنساني ومنحه الفرصة الكافية لتلبية ندائه، وذلك بشدّ الإنسان إلى ربه الأعلى سبحانه وتعالى، بناء على ما شرّعه من صلوات وصيام وأدعية وأذكار وأوراد لتسبح النفس الإنسانية في عالم من الطهر والقدسية، حيث عالم التعلق بالله تعالى، بيد أن ذلك التعلق لم يكن رهبانياً تقشفياً مراً تقتل لحسابه تطلعات الجسد والعقل وسائر المطالب الإنسانية قط، وإنما هو التعلق المبني على رصيد ضخم من قواعد الموازنة العادلة مع المطالب الفطرية الأخرى[1].

ب. تلبيته للمتطلبات الجسمية

والمطالب المادية في الإنسان ذاتها واجهت لونين من التربية، كليهما في غاية التطرف والغلو، فإن إحداهما قد دعت إلى الارتفاع عن المطالب المادية والإغراق بدلاً عنها في جوٍّ روحي محض، مفعم بالروح التصوفية الجافة، والعزلة الفردية المرة، في حين دعت أخراهما إلى العزوف عن الجانب الروحي، وحصر التنمية والنشاط في الجانب المادي، ومن خلال هذه النظرة

---

(١) الإنسان في القرآن: ٣، عباس محمود العقاد. ومنهج التربية الإسلامية: ٤١ وما بعدها، محمد قطب.

المادية ظهر مفهوم اللذة والمنفعة المادية كمقياس أعلى وقاسم مشترك أعظم تلتقي عنده كافة المذاهب الاجتماعية التي تحتل مركز الثقل في دنيا الإنسان اليوم[١]، غير أن الإسلام بالإضافة على اعترافه بالجانب الروحي من الإنسان ـ كما أسلفنا ـ اعترف من جانب آخر بالجانب المادي منه، ووضع له برامجه الخاصة التي لا تشبعه إلى حد الإفراط، ولا تحرمه إلى حد التفريط، كما فعلت المذاهب الاجتماعية والفلسفية ذات النزعات المتطرفة، وإنما جاءت البرامج الإسلامية في هذا المضمار مساوقة للفطرة الإنسانية، وعاملة على تجسيد التوازن التام بين أطراف الكينونة البشرية جميعها، ومن هنا جاء اعترافه بغريزة حب التملك **﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾**[٢]، **﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾**[٣]، وحثه على إشباع هذا الميل الفطري بالعمل على تملك الثروة **﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾**[٤]، **﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾**[٥]، إلا أنه لم يدع إلى الإغراق في التملك، وإنما فرض الضرائب ووضع الحدود

---

(١) فلسفتنا: ٤ وما بعدها، محمد باقر الصدر.

(٢) العاديات: ٨.

(٣) الفجر: ٢٠.

(٤) النساء: ٣٢.

(٥) الملك: ١٥.

للحيلولة دون النمو الاقتصادي السرطاني في المجتمع الإسلامي، وقد سارت خطته القاضية بتحديد الملكية من خلال عمليتين: **أولاهما**: بسد بعض منابع التمول وحظر التكسب من خلالها كالاتجار بالخمر، والتعامل بالربا، والقمار، والغش، والشعبذة، وغيرها كثير مما تستفيض الموسوعات الفقهية الإسلامية بتناوله[١].

وثانيهما: بتشريع الضرائب المالية الثابتة كضريبة الزكاة، أو الخمس؛ أو التصاعدية كضريبة الجهاد مثلاً، وكما اعترف بالميل الفطري للتملك كذلك اعترف بالغريزة الجنسية كجزء حيوي من الفطرة الإنسانية ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء**﴾[٢]، ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾[٣]، غير أنه كعادته لم يطلق العنان لها، وإنما منع الزنا واللواط وغيرهما من السبل المعوجة، وشرّع الزواج كبرنامج دائم لإشباع هذه الغريزة، وبالإضافة إلى ما ذكرنا من البرامج الإسلامية القاضية برعاية الجانب المادي من الإنسان، فإن اهتمامه قد انصب أيضاً على حمل الإنسان للتمتع بخيرات هذا الوجود الرحيب، لأنه لم يخلقه إلا له ولخيره

---

(١) منهاج الصالحين٢: باب التجارة وغيره، للإمام الحكيم‌قدس‌سره. وكذلك رسالة الأحكام٢: للإمام محمد تقي بحر العلوم‌رحمه‌الله.

(٢) آل عمران: ١٤.

(٣) البقرة: ١٨٧.

وسعادته ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[١]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٢]، هذا فضلاً عن أن الإسلام قد منع تعاطي ما يوجب ضرراً للإنسان، كأكل الدم، ولحم الخنزير، والخمر، والميتة ونحوها ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[٣]، ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[٤].

ج. استجابته لمطالب العقل البشري

العقل البشري أُسوة بسواه من جوانب الكينونة الإنسانية قد تعرّض هو الآخر للإفراط والتفريط، فالكنيسة الكاثوليكية والمسيحية الرسمية في أوروبا، حيث كانت مالكة لأزمّة الأمور طيلة القرون الوسطى الأوروبية قد كبّلت العقل البشري، وحالت بينه وبين التفكير الحر، وفرضت عليه معلومات ومفاهيم

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) الأعراف: ٣٢.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) المائدة: ٩٠.

متناقضة أسمتها بالحقائق الكنيسية، وعملت كل جهدها لإخراس أي صوت ينادي بخطأ وجهة نظرها في مسألة كونية، أو نحوها[١]، على أن الكنيسة قد عصفت بها الأيام، وسقطت مفاهيمها ومتبنياتها المهزوزة أمام تيار العقل وأنصاره، حيث سرى الشكّ المرير بكل شيء في الوجود، حتى أخرج العقل من ميادينه، وفرضت عليه أُموراً ليس من وظيفته أن يخوض فيها، واستمر العقليون يخوضون غمار المعركة حتى أُنزل العقل عن عرشه على أيدي أصحاب المدرسة الحسّية في أوروبا[٢]، وأصبح أنصار المدرسة الجديدة لا يركنون إلى الاعتقاد بوجود العقل ذاته، ويؤهلون التجربة والملاحظة كبديل له، على أن العقل الإسلامي بقي بعيداً عن تلك الهزات المتناقضة وتأثيراتها التي اجتاحت الفكر الأوروبي، فإن الإسلام قد آمن بالعقل كحكم فصل في القضايا الفكرية، وقد حرره من الخرافات والشعوذة، وصانه من الجمود، وعاب الجامدين الذين عطلوه عن العمل:

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[٣]،

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا..﴾[٤].

---

(١) التربية وفلسفتها: ٣٨ وما بعدها، د. نوري جعفر.

(٢) خصائص التصور الإسلامي: ٦٨ وما بعدها. مشكلات الحضارة: ٥٢.

(٣) يس: ٦٢.

(٤) الحج: ٤٦.

والإسلام من جانب آخر قد فوض للعقل مهمة النهوض بمسؤولياته دون الخوض في القضايا التي من شأن غيره وبهذا آمن بجدوى الملاحظة والتجربة والحواس واعتبرها أدوات ضرورية للحصول على المعرفة ولكنه في الوقت ذاته أعطى للعقل حق الأولوية في تحقيق المنجزات العلمية والفكرية في الحياة الإنسانية[1].

د ـ رعايته لحقوق الفرد والجماعة معاً

اختلفت المذاهب الاجتماعية في نظرتها للفرد والمجتمع، فمن مؤله للفرد، ومعتبر له القطب الأساس في بناء الهيكل الاجتماعي، وهو الذي تمنح له كافة الحريات للتعبير عن إرادته الحرة المطلقة في الواقع الإنساني، أما المجتمع في حساب هذا المذهب، فإنه يتوجب تسخيره لخدمة الفرد وتحقيق مآربه، وهذا اللون من التطرف قد ووجه برد فعل عنيف تجسد بقيام المذهب الاجتماعي المؤمن بالمجتمع كمرتكز أساس تقام من أجله التشريعات والمؤسسات، ومن أجل ذلك يجب أن يحظى بالحقوق دون سواء، أما الفرد فقد أُخفت صوته في خضم زاخر بالتحيّز للنفوذ المجتمعي الذي يقوم على أساس ذلك المذهب، ولم يعد بعد ذلك مالكاً لحريته في التملك والتعبير والإرادة،

---

(١) رسالتنا جماعة العلماء في النجف الأشرف: ٢٤. ومنهج التربية الإسلامية: ٨٧، محمد قطب.

وأصبح أسيراً للجهاز الاجتماعي الكبير[١]، بيد أن ظاهرة التطرف هذا الذي تشهده حياة إنسان العصر كان الإسلام وحضارته بمنأى عنه تماماً ـ رسالة ومجتمعاً ـ بالنظر إلى أن الإسلام قد ربط بين حاجات الفرد ومتطلبات المجتمع، وأعطى لكل منهما استقلاله وواجباته وحقوقه، فلا الفرد يذوب في الكيان الاجتماعي، ولا المجموع يسخَّر لصالح الفرد[٢]، وإنما لكل منهما أبعاده وإطاره: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٣]، ولكن الفرد يرتبط بالمجموع في المنطق الإسلامي، فتتشابك المصالح والحقوق: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤]، «ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٥]، غير أن الخط الإسلامي الملتزم في هذه المسألة الحيوية يتجسد عملياً في المجتمع الإسلامي في كافة المرافق والنشاطات الحياتية، ففي مجال الثروة يمنح الفرد حق التملك الخاص، وتمنح الجماعة الملكية العامة، ويكلف المجتمع مسؤولية كفالة الفرد في حالة عوزه، ويلزم الفرد

---

(١) الإسلام في حياة المسلم: ٢٥٠، د. محمد البهي. ودراسات في النفس الإنسانية: ١٢٣ وما بعدها.

(٢) الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية: ٨٢ و٨٣، محمد باقر الصدر، مط النعمان سنة ١٣٨٤.

(٣) الطور: ٢١.

(٤) الحجرات: ١٠.

(٥) المائدة: ٢.

باقتطاع جزء من ملكيته لمنحها لصالح القطاع العام، لإسناده في عملية النهوض بمسؤولياته الأساسية، والمجتمع له الحق في الضرب على يد الفرد المسيء، والفرد مسؤول عن البذل من جانبه من أجل الحفاظ على مجتمعه، نسوق هذه الأمثلة العملية اليسيرة لنبيّن إلى أي مدى وفقت التربية الإسلامية إلى الربط بين مصالح الفرد والجماعة بشكل يصبح فيه الفرد كما لو كان يعيش من أجل الأمة، والأمة تعيش من أجل الفرد، وفقاً لتخطيط شامل رصين.

وهكذا تتجلى ـ من خلال هذه الخطوط العامة في الرسالة الإسلامية ـ الإيجابية المتزنة في التربية الإسلامية، وهي تحقق أعلى درجات التوازن بين طاقات الإنسان الفطرية المتعددة، فتشدها بعضاً لبعض لتخلق من هذا الكائن الإنساني وحدة غير متنافرة تسير على نسق واحد في إطار من الخير والجمال.

٢. الواقعية

والواقعية التي أسبغها على منهجه التربوي إنما تعني الأخذ بنظر الاعتبار حالات الضعف الإنساني ومدى قدراته على النهوض بالتزاماته التاريخية والرسالية في معركة الحياة، فالناس وإن كانوا ينتمون إلى أصل واحد ونوع واحد إلاّ أن طاقاتهم الفردية وقدراتهم غير متساوية، ولم تكن ذات درجة واحدة لدى الجميع إطلاقاً، ومن هنا جاءت واقعية التربية الإسلامية حين تبنت منهاج مراعاة فروق البشر الفردية وقابلياتهم الذاتية، وبغية تجسيد هذه الواقعية عملياً في دنيا الناس عمد الإسلام إلى وضع حد أدنى لالتزامات المسلم بالمتبنيات والأوامر الشرعية، يتمثّل ذلك بالفرائض الواجبة، كالصلاة والصيام والحج والجهاد والخلق الفاضل ونحو ذلك، مما هو مفصّل في كتب الشريعة، وحتى هذه الفرائض الإلزامية تخضع هي الأخرى للتجاوز إذا اقتضى الأمر أحياناً، كتجسيد للواقعية أيضاً، كما هو الحال في سقوط الجهاد عن الأعمى والمريض ونحوهما، وكسقوط مشروعية الصلاة عن المرأة أيام حيضها ونفاسها[١]، وغير ذلك كثير ـ مما تشير إليه البنود التشريعية للرسالة الإسلامية ـ والإسلام قد وضع بموازاة الخط الأدنى للالتزام خطوطاً

---

(١) منهاج الصالحين ١: الإمام الحكيم.

تصاعدية في سلم الارتفاع نحو الكمال، حيث يتمثّل أعلى خط فيها (بخط العصمة)، وهو الخط المثالي الذي يعني بلوغه أن يندكّ المسلم وينصهر تماماً في مطالب الرسالة الإسلامية جليلها ودقيقها، ومن أجل ذلك فليس بدعاً من الأمر أن نجد فروقاً متباينة بين حملة التابعية للرسالة الإسلامية في مدى التزاماتهم بتوجيهاتها وأحكامها بالنظر لمدى اختلافهم في المؤهلات الطبيعية المتوفرة في ذواتهم[١]، وقد أكّدت الشريعة الإسلامية واقعيتها تلك من خلال خطوطها الفكرية بالقدر الذي أكّدتها فيه خطوطها التشريعية، كما في مثالي الجهاد والصلاة السابقين، فقد قدّر الإسلام ضعف الطاقات الإنسانية، فقرر واقعيته بجلاء في ذلك﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[٢]، ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا**﴾[٣]، كما أدرك ضعف الإنسان أمام المغريات فأعلن واقعيته بصراحة لا غبار عليها ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ...**﴾[٤]، ﴿**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**﴾[٥] ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾[٦]، وأدرك

(١) كما تأتي الفروق الالتزامية من الجانب الطبيعي تأتي من عامل التربية أيضاً.
(٢) البقرة: ٢٨٦.
(٣) التغابن: ١٦.
(٤) آل عمران: ١٤.
(٥) الفجر٢٠.
(٦) الأعلى: ١٦.

ضعف الإنسان أمام التكاليف الرسالية: ﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[١]، ﴿اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢].

والإسلام بالرغم من أنه يقرر واقعيته ويجسدها من خلال خطوطه الفكرية وأحكامه التشريعية، فإنه في الوقت ذاته لا يترك إنسانه دون إسناد ودفع متواصلين، لتجاوز كثير من حالات ضعفه أمام المغريات والميل إلى ظاهرة حب الدنيا وإزالة بواعث التردد في نفسه، وقد تجلت سياسة التربية الإسلامية في هذا المضمار بالعمل على تربية الدافع الذاتي من جهة، والانفتاح على عالم أرحب ومغنم أبقى حيث عالم الخلود والرضوان والنعيم الدائم من جهة أخرى، وذلك من خلال العديد من التوجيهات التربوية الرشيدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[٣]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ

(١) النساء: ٢٨.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) التوبة: ٣٨.

لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١]، **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾**[٢]، **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾**[٣]، **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾**[٤]، **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾**[٥]، وبناء على ما تشيعه هذه التوجيهات والتلقينات الحكيمة في نفوس المؤمنين من مشاعر الانفتاح على الآخرة، والاتجاه نحو رضوان الله، والعزوف عما سواه من زينة الحياة الدنيا ومظاهرها المتعددة، والارتفاع عنها، والتنزه عن متطلباتها يتوفر للمؤمنين من خلال ذلك الكثير من بواعث الارتفاع في سلم التربية الإسلامية باتجاه الكمال والفضيلة والسمو.

---

(١) التوبة: ١٢٠-١٢١.

(٢) لقمان:٣٣.

(٣) الأنعام: ٣٢.

(٤) آل عمران: ١٤٥.

(٥) آل عمران: ١٤٢.

٣. الشمول والمرونة

والتربية الإسلامية حين تتناول الإنسان إنما تتناوله من جميع أقطاره، جسداً وروحاً، فرداً ورب أسرة، وعضواً في مجتمع، مكافحاً في سبيل العيش وعابداً، مسالماً لغيره من الناس، ومحارباً لهم[١]، حاكماً ومحكوماً، معلماً ومتعلماً؛ ومن أجل ذلك فإن التربية الإسلامية تتناول الحياة الإنسانية جميعهم دون أن تدع فراغاً، لتنفذ إلى فكر إنسان الإسلام ومفاهيمه وعواطفه وأفكاره من خلاله ما لا ينسجم مع خطوطها الفكرية والتشريعية: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾**[٢]، **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾**[٣].

بيد أن شمول الرسالة الإسلامية لكل مناحي الحياة الإنسانية لا يأخذ صيغته القطعية ما لم يوفر من الأدوات والضمانات ما يكفل له مسايرة الجانب المتطور من حياة الناس، إذ أن من

---

(١) رسالتنا: ٤٢، جماعة العلماء في النجف الأشرف، والدستور القرآني في شؤون الحياة: محمد عزة دروزه.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) النساء: ٦٥.

الطبيعي أن الحياة تتعرض باستمرار في مسيرتها إلى مد تطوري هائل يكتنف كافة جوانبها، فما الموقف الذي تقفه التربية الإسلامية من هذه الظاهرة؟

لقد أدركت التربية الإسلامية هذه الحقيقة ووعت أبعادها ـ وهي من صنع الله العليم الخبير ـ وعملت كل ما يحقق لها السير جنباً إلى جنب مع كل تطور يكتنف حياة الإنسان، فوضعت في حسابها أن الحياة الإنسانية تعيش لونين من التطور[١]:

تطور يشمل الأفكار والعقائد والتصورات والتشريع.

وتطور يتناول الأشكال المادية في حياة الإنسان من وسائل النقل والسكن والتدفئة والحرب والطب والكيمياء ونحوها.

فمن اللون الأول من التطور وقفت الرسالة الإسلامية موقف الرافض العنيد لكل ما يخالف متبنياتها الفكرية والتشريعية ونظرتها للحياة والإنسان والكون والمجتمع، أما إذا ما توفر من الأفكار والمفاهيم ما ينسجم مع خطها الفكري والتشريعي الملتزم، فلا ترى هي بأساً من الأخذ به كمشروعات إقامة تنظيمات اجتماعية ومهنية، كنقابة للعمال، أو تجمع للطلاب[٢]، أو مصارف مالية، أو مكتب للفلاحين وما إلى ذلك، أما الموقف

---

(١) شروط النهضة: مالك بن بني، ترجمة عبد الصبور شاهين وصاحب.

(٢) رسالتنا: جماعة العلماء، موضوع (رسالتنا خالدة متطورة).

الإسلامي المتبنى أساساً من التطور الحاصل في الأشكال المادية من الحياة الإنسانية بالشكل الذي ألمحنا إليه، فهو موقف يتسم بالاحتضان التام لكل ما يحقق العلم من إنجاز في هذا المضمار، بل إن الرسالة الإسلامية تتبنى هي من جانبها مشروعات كتلك، مهيئة لإنسانها كل بواعث الاندفاع لجني ثمرات العلم الحديث بكل ما أوتي من مؤهلات ذاتية وموضوعية، لتزدهر شجرة المدنية من جديد في دار الإسلام، وهكذا تلتزم التربية الإسلامية للخط الديناميكي في مواجهة المد التطوري في الحياة كي تطاول الزمن والأجيال.

٤. الإنقلابية

الحياة الإنسانية كانت وما زالت تعج بالكثير من الشرور التي تقض مضجع الإنسان، وتقضي على سعادته، وتورثه ألواناً من الشقاء والآلام، وقد أحسّ المصلحون بما تعانيه الإنسانية، فعملوا جهدهم قديماً وحديثاً على إصلاح أوضاعهم، ليستريحوا ويريحوا قومهم من الشرور التي تنتابهم، بيد أن محاولاتهم لم تخرج عن إطار (المسكنات) المؤقتة للأدواء الاجتماعية.

ولقد كانت آخر أطروحة توصل إليها دعاة الإصلاح الأوربيون بهذا الشأن هو إصلاح المؤسسات الاجتماعية قاطبة في جهاز الدولة، ومجالس النواب، ولوائح القانون، و.. و.. .

إلا أن التجربة الأوربية بالرغم من مرور عشرات من السنين عليها لم تحقق إلا نتائج سلبية أضيفت إلى سجل السلبيات الماضية التي عانى منها الناس، كالاستعمار، والحروب، والبغضاء.

أما الإسلام ـ رسالة رب العالمين ـ فإنها لا تحسب للمؤسسات الاجتماعية في دنيا الإنسان إلا حساباً من الدرجة الثانية، فهي ترى أن الإنسان ذاته يفسد كما تفسد المؤسسات الاجتماعية، ثم هو صانعها والمتحكم المطلق فيها.

ولذا فبناء على وعي الإسلام لمكانة الإنسان في الحياة والتاريخ لابد من أخذ التدابير والإجراءات اللازمة والكفيلة

بإصلاح الإنسان ذاته فرداً وجماعة[١]، لأن المؤسسات الاجتماعية حتى إذا افترضنا أنها قد وضعت لها كافة المشاريع والإجراءات لإصلاحها من الشرور والمفاسد، فإن الإنسان حين يمارس دوره في إدارتها، أو التفاعل معها سيزرع فيها جراثيم الإفساد من جديد بشكل مقطوع به أصلاً ما دام الإنسان ذاته فاسداً.

ومن هنا فلأجل الحصول على ضمانة حقيقية للإصلاح الاجتماعي المخلص العميق لابد من إصلاح الإنسان ذاته روحاً وفكراً وسلوكاً وأهدافاً[٢].

ومن ثم يأتي دور الإصلاح للمؤسسات التي يمارس نشاطاته الاجتماعية والسياسية ونحوها من خلالها، ليكون مجدياً وواقعياً وإيجابياً.

وقد وردت الأطروحة الإسلامية في الإصلاح الاجتماعي في كتابه العزيز:

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٣]، **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾**[٤]، **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ**

---

(١) الدستور القرآني في شؤون الحياة: ٤٨٩.

(٢) رسالتنا: ٦٣.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) الروم: ٤١.

اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١].

وهكذا يضع الإسلام يده على رأس الداء في حياة الكائن الإنساني، وبناء على ذلك وضع منهجه التربوي ليبدأ بالإنسان فينشئه إنشاء جديداً وفقاً لمخططات الرسالة الإلهية الشاملة لكل متطلبات الإنسان، على أن هذه المسلمة تبقى خطاً فكرياً ملتزماً من جانب التربية الإسلامية، أما الطريقة المتبناة في تجسيد هذا الخط عملياً، فإنها ذات طابع مرن متطور تسير حسب ما تمليه ظروف المرحلة التي يحياها الإنسان، ومن أجل هذا تتراوح طرق التربية بين وسائل شتى، فمن فتح للمدارس ووضع منهاج عملي محدد لها يحقق المطلوب إلى الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الوعظ والإرشاد والتبليغ والجهاد[٢] وغير ذلك من الأساليب التي يرتضيها الإسلام وتمليها ملابسات الحياة المتطورة.

وهنا لابد لنا من الخلوص إلى القول: إن التربية الإسلامية تتبنى الرأي الانقلابي القائل بوجوب تغيير الإنسان ذاته، وعدم الرضا أساساً بكل منطلقاته ومفاهيمه وسلوكياته التي لا تنسجم مع مخططات الرسالة الإسلامية الغراء، وعمل كل من شأنه

---

(١) الأنفال: ٥٣.

(٢) رسالتنا: جماعة العلماء.

لتغييرها، ومن ثم يلي ذلك دور التغيير والإصلاح لمؤسسات الإنسان الاجتماعية.

وبناء على هذه المسلمة الأساسية يضع الإسلام منهاجه التربوي في الوقت الحاضر.

٥. الطابع اليقيني

لعل أكثر الأمور استئثاراً باهتمام الرسالات والمذاهب الاجتماعية أن يترسخ في كيان أتباعها الطابع التقديسي لها، الأمر الذي سعت على تحقيقه كل المذاهب الاجتماعية في القديم والحديث بكل ما تملك من مقومات فكرية وجهود عملية، إذ بمقدار ما يترسخ هذا العامل (عامل التقديس) ويتعمق في النفوس يندفع حملة الرسالة إلى التضحية والمفاداة أكثر فأكثر من أجل رسالتهم التي يحملون، فمع وجود العامل التقديسي اليقيني بالرسالة يسقط كل نقاش وجدال، وتصبح الرسالة الحقيقة المطلقة التي لا تخضع لأي لون من ألوان النقاش، لأنها هي الحق، ودونها الباطل والزيف، علماً بأن المذاهب الاجتماعية في القديم والحديث وإن بذلت العديد من المحاولات لتسبغ على ذاتها هذه الصفة، ولكن الذي فعلت كان عبثاً، ولعل أكثر المذاهب الاجتماعية المعاصرة اهتماماً بهذا الأمر كانت الماركسية التي نادت بالمادية التأريخية، كحتمية يخضع لها سير الحضارة والتأريخ البشري، لتستقر في نفوس أتباعها كعقيدة تعلو كل جدال، غير أن محاولاتها في هذا المضمار قد فشلت فشلاً ساحقاً، فلم تصل أفكارها ـ ولن تصل ـ إلى ما وصلت إليه العقيدة الدينية في نفوس أتباعها عبر التأريخ البشري، فقد

حقق الإسلام كدين سماوي وفلسفته التربوية مثلاً إنجازاً هائلاً في هذا الحقل، فإنه بحكم كونه ديناً موحى به من الله الكبير المتعال إلى رسوله القائدﷺليكون مذهباً للحياة والمجتمع، فقد استطاع أن يعمق الطابع الديني في نفوس أتباعه عن طريق ربطهم بالله سبحانه وتعالى، كخالق للكون والحياة من جهة، ومبتعث للرسولﷺبالشريعة الإسلامية الخاتمة من جهة أخرى، وحين يتلقى المؤمنون الشريعة الإسلامية بشتى مرتكزاتها وخطوطها وتلقيناتها، باعتبارها من صنع الله سبحانه وتعالى، فإن هذه الحقيقة تزرع لدى المؤمنين اليقين المطلق[١] والثقة التي لا تتزعزع، بأن رسالتهم ومواقفهم العملية التي تلزمهم هي بإتيانها، حق لا ريب فيه، وما عداها لا يعدو أن يكون اجتهاد بشر قاصر عن إدراك الحق والصواب.

وهذه حقيقة أكدتها النصوص القرآنية بصرامة وجدية: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ۞ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾**[٢]، **﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**

---

(١) رسالتنا: ٩، جماعة العلماء، وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٤٩، سيد قطب ط٣ ١٩٦٨.

(٢) الشورى: ٥٢-٥٣.

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾**[2]، على أن مكسب العامل التقديسي للرسالة يبدو عظيماً وجليلاً في الواقع التطبيقي، لأن هذا العامل يوفر للمؤمنين عنصر الاندفاع بحرارة، واختيار إلى تنفيذ التزاماتهم الرسالية، وتحديد مواقفهم العملية وفقاً لمقتضيات المتبنيات الفكرية والتشريعية للرسالة[3]، ومن هنا تبدو الفاعلية العظمى التي تجسدها التربية الإسلامية في نفوس أتباعها حتى في أكثر الظروف حراجة وأشدها ضراوة، لاسيما في الظروف التي تفقد الرسالة فيها كيانها الاجتماعي والسياسي الذي يدعم وجود الرسالة وامتدادها التأريخي، حيث يفقد المسلم ورسالته أي غطاء لحمايته من التيارات الفكرية التي تهدد وجوده الرسالي بالفناء، ولكن تواجد العامل الديني كان دائماً السبب الأعمق والركيزة الأساسية في تخطي الإسلام للكثير من المحن التي اعترضت طريقه، لاسيما في القرن الأخير، وبناء على ما تقدم يكون بمقدورنا أن نفسر ظاهرة اندفاع المسلم ذاتياً لأداء بعض

---

(١) النجم: ١-٤.

(٢) الحاقة: ٤٤-٤٨.

(٣) رسالة الإسلام٩-١٠: ١٠٠، س٣، وما بعدها.

الحقوق، والقيام ببعض الواجبات، والالتزامات الشرعية كالصلاة والصوم وبعض الضرائب المالية، والخلق الإسلامي ونحوها، في وقت يفقد معه وجود الضابط القانوني الخارجي، الأمر الذي يعد علامة فارقة كبيرة بين الإسلام وغيره من النظم الوضعية، ففي الوقت الذي يتوقف فيه قيام الفرد غير المسلم بأداء التزاماته تحت ضغط الضابط القانوني دون سواه، يحقق الإسلام عن طريق الطابع الديني الذي يمتلكه، والذي يتعمق ويتأصل باستمرار عن طريق التربية الإسلامية منجزات ضخمة على الصعيد التطبيقي[1]، وذلك بتنمية العامل الداخلي في الذات الإنسانية، على أن الضابط القانوني يأتي دوره عندما يحزب الأمر ويتعدي البعض على أموال الناس وأمنهم وراحتهم حيث يأتي دور القانون الإسلامي ليقطع يد السارق، ويجلد الزاني، ويقتل القاتل، و.. و.. .

وهكذا يمتلك الإسلام ضمانات أوسع لتطبيق نظريته الاجتماعية بسبب تفوقه على سواه بالطابع الديني، مضافاً إليه الضابط القانوني.

وبهذا نكون قد استعرضنا خلال الصفحات الماضية الخطوط الفكرية العامة للتربية الإسلامية ـ بشكل موجز ـ

---

(١) رسالة الإسلام: مجلة كلية أصول الدين في بغداد عدد: ١ـ٢ ج٥، س٢، ١٩٦٧م.

من وسائل التربية الإسلامية

بقدر ما كان الإسلام الحنيف فريداً في المرتكزات الأساسية لفلسفته التربوية كان كذلك في وسائله التربوية، فإن منهجه في التربية لم يبق أسيراً لوسائل ثابتة، وإنما تتجلى فيه الروح الديناميكية بشكل فائق، فهو لا يفتر أبداً عن الاستفادة من كل جديد في وسائل التربية، مدارس، أو وسائل إعلام من صحافة، ومسارح، وتلفزة، وإذاعة، و.. و..، بالإضافة إلى احتفاظه بوسائله الخاصة ذات الصبغة المذهبية، وهنا نورد طرفاً من وسائل التربية التي ينفرد بها الإسلام غالباً، أو يصادف أن يشترك معه في بعضها سواه:

١. التربية بالقدوة الصالحة

تبقى المذاهب الاجتماعية غالباً ذات صفة مثالية، أو نظرية لا يعلم مدى مطابقتها للواقع إذا لم تتحول إلى واقع حركي فاعل في دنيا الإنسان، حيث تتمثل شخوصاً حية.

وقد أدرك الإسلام هذه الحقيقة، فبادر إلى تقديم الرسول القائدﷺقدوة صالحة أُولى لأتباعه فور انبثاق أول نواة اجتماعية له في الأرض، وقد جسدت في شخص الرسولﷺالصورة الحقيقية لإنسان الإسلام في فكره وسلوكه وعواطفه، ولعل في حديث عائشة بنت أبي بكر وهي تصف شخصيتهﷺ: «كان خلقه القرآن»[١] أروع عبارة وأدقها في هذا المضمار، إذا علمنا بأن القرآن الكريم يحمل بين دفتيه كل ما يتبناه الإسلام الحنيف من فكر وتشريع وتوجيه، الأمر الذي دعا القرآن إلى تشديد الدعوة إلى اتخاذه قدوة حسنة ومثلاً أعلى في السلوك الإسلامي من لدن كافة أتباع الرسالة الإسلامية[٢] ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[٣]، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا، ما هو نوع السلوك الذي يكون الرسولﷺفيه مثلاً أعلى لأمته؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من الإشارة إلى أن الرسولﷺقد مارس الحياة وتفاعل معها فرداً، ورب أُسرة، وحاكماً، وعضواً في مجتمع، قاضياً، وعابداً، معلماً، وقائداً عسكرياً، و..و..

---

(١) شرح نهج البلاغة٦: ٣٤٠، مسند أحمد بن حنبل٦: ٩١، فتح الباري٦: ٤١٩، الدر المنثور٥: ٢.

(٢) الإسلام، ينابيعه، مناهجه، غاياته: ٢٧٦، ومنهج التربية الإسلامية: ٢٢٠ وما بعدها.

(٣) الأحزاب: ٢١.

ففي كل شأن من تلك الشؤون كان مستلهماً شريعة الله سبحانه في سلوكه ومفاهيمه وتدبيره للأمور، ومن أجل ذلك دفعت الرسالة أتباعها إلى اتخاذه مثلاً أعلى يقتدى به من لدن المربي والقائد ورب الأسرة والحاكم وسواهم، وبناء على ذلك ينبغي أن يكون الرسولﷺ وسيرته العطرة مجالاً خصباً للتربية في المجتمع الإسلامي تأخذ طريقها إلى المناهج المدرسية والكتب والمذياع والصحيفة، ليكونﷺالمثل التطبيقي الأعلى الذي يحتذى، ومن بعده الأئمة الهداة الذين سلكوا دربه وانتهجوا سنته.

على أن الذي تجدر الإشارة إليه هنا أن التربية الإسلامية قد اعتبرت الاقتداء بالرسولﷺكمثل أعلى لكافة أبناء الأمة الإسلامية خطاً فكرياً، ووسيلة من وسائلها التربوية ذات الصفة المذهبية التي يجب تبنيها من لدن إنسان الإسلام، فرداً كان ذلك أو جماعة، حاكماً أو عابداً أم غيرهم ـ كما أسلفنا ـ

ومن هنا تأتي أهمية اتخاذ الرسولﷺمثلاً أعلى للشخصية الإسلامية يجب أن تحتذى في كافة منطلقاتها الفكرية والعملية، حيث يقف الرسولﷺعلى قمة التسلسل السلّمي من وجهة التزامية بالنسبة لدرجات الشخصية التي تتوفر في دنيا الإسلام.

وبالرغم من أن شخصية الرسولﷺوالأئمة الهداة من بعده تبقى المثل الأروع للشخصية التي يجب أن تحتذى من لدن

الجميع، فإن الإنسان ـ سيما في عهد الطفولة والصبا والشباب ـ يحسّ طبيعياً بالحاجة إلى قدوة حية يقتدي بها في فكره وسلوكه، ويتخذها مثله الأعلى الذي يشع عليه منطلقاته العقلية والنفسية، وغالباً ما يكون هذا المثل المقتدى الأب أو الأم أو المعلم أو الحاكم أو نحوهم ممن لهم علاقة ذات أثر فعّال على عقل الطفل أو الشاب،ومفاهيمهما العملية وأنماط سلوكهما، وبناء على هذه المسلمة الحيوية في التربية، فإن التربية الإسلامية من جانبها قد وضعت منهاجاً خاصة لكل من الأب والمعلم والأم وغيرهم، ليتمثلوه في تفكيرهم ونشاطاتهم العملية ـ خصوصاً ـ أمام أبنائهم وتلامذتهم، ليؤثر عامل القدوة تأثيره الإيجابي البناء في حياة النشيء، وهذه بعض مفردات هذا المنهج في هذا المضمار.

أ ـ في إطار الأسرة

إن وضعية الأسرة من حيث الاستقرار والاضطراب، ومن حيث الأخلاقية والنشاطات ذات أثر جد بليغ في حياة الأبناء، بالنظر إلى أن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي يتلقى فيها الأبناء أفكارهم وعواطفهم وسلوكياتهم تماماً كما يتناولون طعامهم ولباسهم، وبهذا تبقى وحدها ذات الفاعلية في تخريج الأسوياء أو الشواذ خلقياً، الأمر الذي أدركت التربية الإسلامية أبعاده وحقيقته، حيث عملت كل ما من شأنه لتوفير المناخ الصالح لنمو الأبناء النمو الطبيعي

المنسجم مع الخط الفكري والعملي للرسالة الإسلامية، ويتجلى ذلك من خلال المتبنيات الأساسية التالية[١]:

١ـ دعا الإسلام الزوجين إلى الحب المتبادل بينهما، لأن أمراً كهذا ذو أثر جد بليغ في حياة الطفل وتكوينه، فكلما قويت العلاقات الودية بين والديه وترسخت، كان ذلك أدعى لاستقراره النفسي ونموه السليم، أما إذا كانت الأسرة تعيش وضعاً متأزماً بسبب العلاقات المتوترة بين الزوجين، فإن الأمر ينعكس بشكل طبيعي على صفحة ذهن الطفل ونفسيته وأخلاقه، وقد جاءت فكرة الإسلام الحنيف في وجوب اختيار الزوج لزوجته، واختيارها له، لتقوم العلاقة ابتداء على الإيجاب والقبول، كما تبتنى العلاقات الأسرية على أساس الحب الوطيد، ثم أن الإسلام من جانبه قد حدد للزوج واجباته وحقوقه في هذا الإطار كما حدد للزوجة حقوقها وواجباتها في إطار الأسرة والمجمع أيضاً، بالشكل الذي يوفر للأسرة وكافة أفرادها حياة هادئة ناعمة.

٢ـ الدعوة إلى الاحترام المتبادل حيث ألزم الإسلام أعضاء الأسرة بإتباع مباديء الاحترام بينهم وذلك بإجلال الكبير وتوقيره، والعطف على الصغير وإعطائه قسطاً من الشفقة وحمله

---

(١) للاستزادة يراجع النظام التربوي في الإسلام: ٨٠ وما بعدها، القرشي، ومنهج التربية عند الإمام الأديب: ١٦١ وما بعدها.

على الشعور بالكرامة والعزة، مما يشكل ضمانة لانطلاق الأبناء في جو من التعاون وحب الخير والفضيلة.

٣ـ العناية بالأبناء من لدن الآباء، الأمر الذي يشكل حجر الزاوية في ازدهار شخصية الأبناء ونموهم على نأي من العقد النفسية التي تتأتى حتماً من شعورهم بالمعاملة المبنية على الاحتقار من لدن آبائهم وأُمهاتهم غالباً، فيميلون إلى الشذوذ والسلوك الإجرامي.

ومن هنا جاءت مفاهيم الإسلام في حث الآباء على تحسين أسماء أبنائهم ومصاحبتهم إلى مجالس الفضيلة[١].

والإشراف على تربيتهم طيلة سني الطفولة والصبا حتى بداية مرحلة الشباب.

٤ـ إشاعة المساواة بين الأبناء من قبل الوالدين[٢]، فإن عطف الوالدين ومساواتهم لأبنائهم في الحقوق والرعاية والواجبات يكون كفيلاً بشيوع روح الانسجام والأخوّة وحب الآخرين، أما شعور البعض من الأبناء بالحرمان من البعض من تلك الحقوق

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية٢: ٢٠١، محمد تقي فلسفي ت فاضل الميلاني ط١ النجف ١٩٦٨ ص٢٠١.

(٢) مكارمالأخلاق: ٢٢٠ في فضل الأولاد. وقالﷺ: **«اعدلوا بين أولادكم في السر كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف»**. شرح الأزهار٢: ٤٤٨، المجموع١٥: ٢٦٩، مسند أحمد بن حنبل٤: ٢٧٥.

دون سواهم من إخوتهم، فإنه يجر حتماً إلى العقد النفسية والحقد والثورات الانفعالية، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله حين رأى رجلاً يقبل أحد ولديه دون الآخر: **«هلا ساويت بينهما..»**[1]، منتهراً للرجل من أجل ذلك!!

٥ـ اجتناب الخلق الملتوي: ومن منهاج الإسلام الملتزم في إطار الأسرة حثه للوالدين على اجتناب كل خلق لا إسلامي، من قول فاحش، وكذب وبذاءة، ومخالفة للوعد، واليمين الكاذب، ونحوها، وهي أمور وإن كانت ممنوعة موضوعاً من وجهة إسلامية، إلا أن تعاطيها أمام الأبناء يضاعف من أخطارها، لأن ذلك ينفذ إلى أعماق قلوب الأبناء، ويستقر عملياً في بناء شخصياتهم، فإن الطفل الذي يطلب إليه أبوه أن يكون صادقاً في حين يرى الأب يكذب عملياً، لا نتوقع منه أن ينصاع لوصية والده أبداً، لأنه إنما يتخذه قدوة في سلوكه العملي الأمر الذي ينسحب على كافة سلوكيات الآباء والأمهات في إطار الأسرة، ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ: **«أحبوا الصبيان وارحموهم**

(١) مكارم الأخلاق: ٢٢٠، في فضل الأولاد.

وإذا وعدتموهم ففوا لهم»[١] وقال الإمام علي عليه السلام: **«لا يصلح الكذب جد ولا هزل،**[٢] **ولا أن يعد أحدكم صبية ثم لا يفي له»**.

هذه بعض معالم التربية الإسلامية في إطار الأسرة أوردناها على سبيل الإجمال فحسب[٣].

ب ـ في إطار التعليم

وبحكم العلاقة القائمة بين المعلم وتلاميذه في جو المدرسة، فإن اتخاذه قدوة تحتذى من لدن تلاميذه أمر حتمي استجابة لغريزة طبيعية مركوزة في كيان الإنسان، فهو مجبول على التقليد والمحاكاة في سن مبكرة، ولذا فإن التربية الإسلامية بقدر اهتمامها بالوالدين وبقدر توجيهها إلى الطريقة المثلى في السلوك في إطار الأسرة، كذلك فعلت بالنسبة للمعلمين، فحددت لهم برنامجاً عملياً يتماشى وأهمية مهمتهم التربية هي أدنى ما تكون إلى المنهاج المتبنى في إطار الأسرة، فقد أوصت المعلمين بالالتزام بالأخلاق الفاضلة والسلوك المستقيم والتزام

---

(١) الكافي٦: ٤٩، باب بر الأولاد، وسائل‌الشيعة٢١: ٤٨٣، باب استحباب بر الإنسان ولده.

(٢) مجمع البيان١١: ٨٦، ابن جرير الطبري.

(٣) للاستزادة يراجع كتاب الطفل بين الوراثة والتربية٢: الشيخ محمد تقي فلسفي.

الفضيلة والحق والعدل والمساواة بين التلاميذ وإشعارهم بالود والرحمة والاحترام وسوى ذلك، وهي مباديء ألزمت الشريعة الإسلامية بها المعلمين أكثر من سواهم بالنظر لخطورة دورهم في المجتمع الإسلامي باعتبار ما يتحقق على أيديهم من تكوين وبلورة لشخصية ناشئة الأمة وشبيبتها، وفقاً لمتبنيات الإسلام ومراميه العظيمة، وبمقدورنا أن نجمل بعض ما حدده الإسلام من أُطر للكادر التعليمي بما يلي[١]:

١ـ أن يستشعر المعلم عبر مهمته التعليمية أن ما يقوم به من دور إنما هو من أجلِّ الأعمال في الحياة الإسلامية بحكم أهمية عمله وخطورته في دنيا التربية بكل أبعادها، ولذا فجدير به أن يجرد عمله لله سبحانه وتعالى، وأن يجعل الباعث إليه رضوانه تعالى دون سواه، ليأخذ عمله الطابع التعبدي بحكم ما يتجه إليه من مرمى وما يلتزم من مباديء.

٢ـ أن يلتزم الشفقة والرحمة، وأن يبذل قصارى جهده في بذل النصح للمتعلم، وأن يقدم مادته الفكرية والعلمية بشكل يناسب المدارك والأذواق.

٣ـ أن لا يحجب عن تلامذته ما هم مؤهلون ـ زمنياً وعقلياً ـ لاستيعابه من علم وفكر.

---

(١) استفدنا في طرح هذه المباديء من كتاب جامع السعادات١: ٤٤، الشيخ محمد مهدي النراقي، (فصل آداب التعلم والتعليم).

٤ـ أن يحتفظ بقدسية المعرفة، ويلم بأطراف مادته التعليمية، فلا يصح أبداً أن يطرح أفكاراً مخالفة لروح الواقع أمام تلاميذه، فيعطي فرصاً لتوجيههم توجيهاً خاطئاً، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**...حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون...**»[1].

٥ـ أن يتمتع المعلم بمستوى التزامي جيد من ناحية سلوكية ليكون قدوة حسنة لتلاميذه فيما يقول ويعمل.

هذه بعض المباديء التي طرحتها التربية الإسلامية أمام المعلمين كنهج ينبغي التزامه في مهمتهم التعليمية الهادفة.

٢. المحاسبة الاجتماعية

والمحاسبة الاجتماعية وسيلة انفرد بها المنهج الإسلامي في التربية دون سواه، وهي وسيلة لها أصالتها وبعدها في إطار التكاليف الشرعية، لأنها تعني «تلك الوسيلة التي يتبعها أفراد المجتمع في ضبط من يخرج على الإطار الاجتماعي الذي صاغه

(١) الكافي ١: ٤٣، باب النهي عن القول بغير علم، وسائل الشيعة ٢٧: ٢٣، باب عدم جواز القضاء والإفتاء بغير علم، الأمالي: ٤٢٠، الصدوق، المجلس الخامس والستون.

النظام الاجتماعي الذي آمنت به الأمة وقدسته، أو من يحاول الخروج عليه»[١].

فمن بدائة العقل أن المجتمع الإسلامي ليس بدعاً من المجتمعات، فيختفي من إطاره كل شذوذ وانحراف على الإطلاق، إن هذا اللون من التصور لا طائل تحته، فالمجتمع الإسلامي قبل كل شيء مجتمع بشري، والإسلام إنما جاء معترفاً بكل ما في البشر من طاقات في حدود إيجابية متزنة، ولهذا فمن المنتظر، بل ومن المعقول جداً أن تقع الانحرافات عن الخط الإسلامي المرسوم بسبب ما تتعرض له النفس الإنسانية من هبوط ونكسات نتيجة لما تنطوي عليه من ضعف مركوز في كيانها، أو بسبب عدم توفر التربية بشروطها المجدية البناءة، ومن أجل ذلك جاء التكليف الإسلامي بوجوب المحاسبة الاجتماعية لكل منحرف عن الخط الإسلامي، والعمل كل ما من شأنه على إعادته إلى السلوك الإسلامي المتبنى.

ومبدأ المحاسبة يعني في المنطق الإسلامي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) الذي أعطاه الإسلام الصبغة الإلزامية التي لابد لإنسان الإسلام من التزامها سلوكاً عملياً فاعلاً في المجتمع، وعلى شتى الأصعدة، فقد وردت النصوص الإسلامية الأصيلة مؤكدة الدرجة الإلزامية لهذا المبدأ «**لا تتركوا الأمر بالمعروف**

---

(١) رسالة الإسلام: ع٣-٤ ص٤٤ س٥.

والنهي عن المنكر، فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم...»[١]، **«لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»**[٢]، على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتخذ صوراً شتى[٣]، فمن وعظ وإرشاد للمنحرفين أو للجاهلين بالمتبنيات الإسلامية إلى المقاطعة وإظهار الغضب واستنكار أعمال المنحرفين أو للجاهلين بالمتبنيات الإسلامية على المقاطعة وإظهار الغضب واستنكار أعمال المنحرفين يقابله إظهار السرور لأعمال الملتزمين بالخط الإسلامي.

كما إن من صوره التوجيه بالحكمة عن طريق الحوار الهاديء، أو بكتابة البحوث في الصحف والمجلات، أو إذاعة المواعظ والتوجيهات من محطات الإذاعة والتلفاز.

---

(١) نصوص من السنة الشريفة، راجع رسالة الأحكام١: ٢٠٥، للإمام محمد تقي بحر العلوم قدس سره. مستدرك الوسائل١٢: ١٧٩، باب وجوبهما وتحريم تركهما. الكافي٧: ٥١، باب صدقات النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة والأئمة. الأمالي: ٥٢٢، للطوسي، المجلس الثامن عشر فيه من أخبار. تحف العقول: ١٩٧ وصيته إلى ابنه الحسن عليه السلام. المصنف٨: ٧٠١، المعجم الأوسط٢: ٩٩.

(٢) رسالة الأحكام١: ٢٠٨. التهذيب٦: ١٨١، باب الأمر بالمعروف، وسائل الشيعة١٦: ١٢٣، مستدرك١٢: ١٨١.

(٣) رسالة الامحام : ٢١٣.

إن الأمر قابل لبلوغ حدود الضرب واستعمال الشدة بالنسبة للمنحرفين الذين لا يرعوون، سيما في الجانب المختص بالعقيدة الإسلامية وخطوطها العامة، كتعرض البعض إلى مهاجمة شخصية الرسول القائدﷺ، أو القرآن الكريم، أو نحو ذلك بيد أن للمحاسبة الاجتماعية «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» أبعاداً محددة في كتب الفقه الإسلامي تتماشى والظروف العقلية والنفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع، ولقد شهد المجتمع الإسلامي أبان تجربته الرائدة صوراً شتى من تطبيقات هذه المبدأ الحيوي، فلئن كانت المحاسبة الاجتماعية توجيهاً للمسيء والمنحرف وصداً للجاهل عن جهله وتوجيهاً للبسطاء والغافلين من الناس طبقاً لمتبنيات الرسالة الإسلامية، كانت على صعيد الحياة الاجتماعية رقابة دائمة[1] لعادات الناس ومعاملاتهم لمعرفة ما يعانون منه وما يطلبون، أو لمعرفة مدى التزامهم بالعرف الإسلامي الأصيل، كما في معاملات البيع والشراء وأسعار المواد الغذائية على سبيل المثال لا الحصر، فقد كان جهاز الحسبة أروع الأمثلة على ذلك، حيث يتولى هذا الجهاز مراقبة حالات الغش والظلم والبخس في الموازين وقضايا الأسعار ورداءة المعروضات وغير ذلك، وهذا الجهاز ـ وهو صورة تطبيقية لمبدأ المحاسبة الاجتماعية كما ألمحنا ـ

(١) رسالة الإسلام: ع٣-٤، ص٤٠ وما بعدها، س٥، موضوع الرقابة الاجتماعية في الإسلام.

كانت الدولة تعين أعضاء من ذوي الإيمان والصلاح والعدالة والخبرة العملية بالمهام التي تناط بهم ليقوموا بوظيفتهم على الوجه الأكمل.

كما كان من تطبيقات مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً مراقبة الحاكمين وتقويم اعوجاجهم ولفت نظرهم إلى موضع الخطأ في سلوكهم وأحكامهم على الصعيد الخاص والعام، كما كان من مظاهره كذلك شجب الحكام الظالمين والرد عليهم بأقسى الوسائل إذا لزم الأمر (كالثورة المسلحة مثلاً) والتاريخ الإسلامي مليء حتى الحافة بشواهد من هذا القبيل، كثورة الحسين عليه السلام وثورة المدينة وثورات العلويين أيام الحكم العباسي، فضلاً عن المواقف الفردية التي وقفها أبو ذر الغفاري وغيره في هذا المضمار، كل ذلك كان تجسيداً لواقع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تتخذه التربية الإسلامية وسيلة متقدمة من وسائلها في توجيه الأفراد والجماعة وفي إعداد الأجيال لمعركة الحياة وفقاً لمخططات الرسالة الإسلامية ومتبنياتها في الفكر والعمل.

٣. المحاسبة القانونية

كما يختلف الناس في تلقّيهم لأحكام الرسالة الإسلامية وتلقيناتها بالنظر لتأثير العوامل الطبيعية والتربوية، كذلك يختلفون

في مدى استجابتهم للوسائل التربوية التي تسلك غالباً معهم في حالة وقوع الانحراف، أو الشذوذ عن الخط الإسلامي، سواء أكان ذلك ذا أبعاد شخصية، أم اجتماعية، فقد يقوّم إنسان ما سلوكه، ويقلع عن شذوذ في نشاطاته العملية بمجرد حصول قدوة صالحة له في المجتمع، حيث يتلقّى التوجيه العملي من إشعاعاتها الروحية والفكرية، في حين يحتاج إنسان آخر إلى وجود القدوة الصالحة مدعومة بالوعظ والإرشاد والتبليغ، وقد ينجح عامل المقاطعة والإعراض القلبي مع أُناس آخرين وهكذا...

إلا أن عدم الإستقامة لدى البعض تصل به حد إقلاق راحة الناس وتعكير صفو حياتهم بالاعتداء عليهم، أو على أموالهم، أو أعراضهم مما لا تنفع معه واحدة من الوسائل التي ذكرناها، بل ولا يثوب إلى رشده حتى وإن اجتمعت كل الوسائل المذكورة لإصلاحه.

وهكذا تصبح العمليات الإرشادية الفكرية والسلوكية غير مجدية، ولابد من وسيلة ردع حاسمة لقطع دابر الفتنة التي يجني المجتمع المسلم ثمارها المُرة.

والردع في التربية الإسلامية ذو وجهتين:

١ـ **الوجهة المعنوية**: وهي الخطوة الأولى التي تتبع مع بعض المسيئين، لحملهم على التخلّي عن سلوكياتهم الفاسدة، وقد

حمل القرآن الكريم العديد من التوجيهات التربوية في هذا المضمار: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[١]، ﴿**إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**﴾[٢]، ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[٣].

٢ـ **الوجهة المادية**: وهي الخطوة النهائية الحاسمة التي تخطوها التربية الإسلامية لقطع دابر الفتنة العقائدية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي، وتأتي أهمية هذا اللون من الإجراءات التربوية بعد أن تفشل كافة الوسائل في إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي، وبعد أن يصبح سلوك فرد أو جماعة من الأفراد ذا تأثير عكسي في مسيرة الأمة الإسلامية، مما تقتضي المصلحة الإسلامية العليا أن يردع المسيء ويؤخذ منه الحق عن طريق العقاب المادي المباشر: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾[٤]، أما أهم الجرائم والانحرافات التي يجري فيها هذا اللون من العقوبات فهي السرقة ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ**

---

(١) البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) التوبة: ٣٩.

(٣) الأنفال: ١٦.

(٤) البقرة: ١٧٩.

أَيْدِيَهُمَا﴾[١]، والزنا **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾**[٢]، والقتل **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾**[٣] وغيرها، على أن من الجدير ذكره هنا أن العقوبات المقررة دستورياً في الكتاب العزيز وسنة المعصوم عليه السلام تعرف في منطق القضاء الإسلامي بالحدود[٤]، أما ما يستجد من أحداث عصرية كمشاكل الزراعة والصناعة ونحوها، فقد أفرد الإسلام لها باباً فقهياً خاصاً أسماه باب التعزيزات[٥]، وهي أحكام شرعية تفرضها الأحداث المستجدة في حياة الأمة الإسلامية تنتهج كأساليب تربوية معينة تتراوح بين التوبيخ والضرب والسجن وغيرها، حسب درجات الجريمة وتأثيراتها السلبية على الكيان الإسلامي، أما مردودات العقوبات المادية من وجهة تربوية في حياة الناس، فإنها آتية من كونها زواجر للآخرين ممن يحاولون ممارسة هذا النوع من السلوكيات، وهي

---

(١) المائدة: ٣٨.

(٢) النور: ٢.

(٣) البقرة.

(٤) نظام العقوبات: عبد الرحمن المالكي. المحامي وموقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي: أحمد فتحي بهنسي.

(٥) نظام العقوبات: عبد الرحمن المالكي. المحامي وموقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي: أحمد فتحي بهنسي.

رادعة كذلك للشخص المعاقب ذاته ـ كما في حالتي السرقة والزنا مثلاً ـ حيث يقلع عن ممارسات من هذا النوع.

٤. المجتمع الإسلامي

تتحقق قمة الانتصارات لأي مذهب في التربية حين تتجسد مفاهيمه ومرتكزاته في دنيا الناس روابطاً وسلوكيات وأفكاراً وعادات يدين بها مجتمع من المجتمعات الإنسانية ويتفاعل من خلالها، فإنه بحكم قيام المجتمع تقوم خلاله المؤسسات الاجتماعية العامة من وسائل ثقافية، أو إعلامية، أو مجالس تشريعية، أو تنفيذية، أو نحو ذلك، وكلها بداهة تلتزم خطاً فكرياً معيناً تهدف إلى تحقيق مطالبه في الحياة العامة والخاصة، وبناء على هذه المسلمة تتوفر للتربية المتبناة في المجتمع ـ أي مجتمع ـ فرصة امتلاك ناصية كل الوسائل الممكنة لتحقيق أهدافها في الحياة.

ومن أجل ذلك نظراً لأهمية وجود المجتمع بالنسبة للتربية التي يتبنى أهدافها، فإن الرسالة الإسلامية تحمل أتباعها على وجوب العمل من أجل قيام المجتمع الإسلامي بشروطه التدينية والحضارية، كي يكون المناخ الأصلح لنمو إنسان الإسلام نمواً طبيعياً من وجهة فكرية وسلوكية، فمن غير المشكوك فيه أبداً أن المسلم الذي لا يتوفر له العيش في مجتمع إسلامي يجسد الأطروحة الإسلامية في الحياة فكراً وعملاً سيعيش تناقضاً حاداً

بين ما يؤمن به فعلاً من أفكار ومفاهيم ومنطلقات للعيش، وما يجسد في حياته من مباديء وأوضاع هي مرتكزات لحضارة غير حضارته.

وهذه الظاهرة سيعيشها المسلم عملياً في المعهد والسوق والصحيفة والتلفاز والمذياع والمحكمة والنادي والمعمل والمصرف وغيرها من مرافق الحياة العامة، حيث لا يكون الإسلام الموجه لتلك المؤسسات والمحدد لبرامجها وأهدافها ونشاطاتها، بل لا يسلم الإسلام ذاته من مهاجمتها على الأغلب، وإن كان وجودها على نأي عن توجيه الإسلام وتحديده لأهدافها ونشاطاتها هو ذاته عملية هجوم سافر على الإسلام ومفاهيمه.

وهكذا فإن التربية الإسلامية حتى وإن توفرت للمسلم من خلال مسائل معينة، كالتثقيف الذاتي أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الوعظ والإرشاد مثلاً، فإن أكثر مفردات هذه التربية تبقى نظرية غالباً بسبب وجود المجتمع اللاإسلامي الذي يعيشه المسلم بشتى مؤسساته ووسائله.

فالغش في البيع والشراء، والربا في المصارف، وتبرج النساء في الشوارع، والأدب الخليع، والفكر الملحد، والصحيفة الماجنة، و.. و..، كلها مسائل تناقض ما يؤمن به المسلم الواعي، وعلى ضوء هذا الوعي التربوي الرصين طفقت التربية الإسلامية تدفع أتباعها بصرامة إلى وجوب العمل لتغيير الواقع المعاش إلى واقع

إسلامي، لتكون كل معاملات الناس وروابطهم ومؤسساتهم ملتزمة بالخط الإسلامي، حيث يوجد المجتمع المسلم الذي يحتوي الأسرة المسلمة، والاقتصاد المسلم، والمدرسة المسلمة، والفن المسلم، والصحيفة المسلمة، و.. و.، أما التعامل في مجتمع كهذا فإنه يقوم على النظافة والاستقامة والنبل: نظافة التعامل بين الشاب والشابة، والزوج والزوجة، والأطفال، ونظافة التعامل بين العامل وصاحب العمل، والرئيس ومرؤوسه[١]، و.. و.، حيث ينشأ الإنسان الصالح، ويتحقق التلاحم الكلي بين ما يؤمن به المسلم، وما يتفاعل معه في واقعه المحسوس، وهكذا يكون المجتمع الإسلامي وسيلة هامة من وسائل التربية الإسلامية.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن المجتمع الإسلامي بالرغم من كونه وسيلة متقدمة من وسائل التربية في منطق المنهج الإسلامي في التربية، إلاّ أنه من جهة أُخرى يبقى هدفاً أساسياً ومتقدماً من أهداف المسلم الإستراتيجية التي يصبو إلى تحقيقها بالعمل المثمر الجاد من خلال التبشير بالفكر الإسلامي، ونشر مفاهيمه، وفقاً للظروف الموضوعية والذاتية التي تمرّ بها الأمة الإسلامية عبر التاريخ والأجيال.

---

(١) منهج التربية الإسلامية: ٢٩٦، محمد قطب.

٥. اعتماد التدرج في محو العادات المستحكمة

ومن أرقى الوسائل التي سلكها الإسلام في منهاجه التربوي في مسألة التدرج في محو العادات الاجتماعية الفاسدة، كتعاطي الخمر والربا والرق وما إليها، على أن هذا التدرج لم يكن إطاراً فنياً فحسب لتزال على أساسه وضعية اجتماعية فاسدة، فتحلّ بديلاً لها حالة شرعية طبقاً لتصورات التربية الإسلامية عن طبيعة المجتمع ومحتواه الفكري والعملي، وإنما كانت مسألة التدرج المتبناة في التربية الإسلامية تتبنى مشروع التهيئة الروحية والخلقية عن طريق توفر الطابع الديني التقديسي، والعمل على تعميق هذا الطابع، وتوسيع دائرته وفاعليته في نفوس المؤمنين، ومن ثم تعمد إلى ارتياد الأسلوب الفني المعتاد لديها لطرح شروطها الجديدة للحياة والإنسان، ولعل قضية الخمر واحدة من عدة قضايا في هذا المضمار، فقد كان الخمر في الجاهلية التي سبقت ظهور الإسلام عادة اجتماعية مألوفة وذات تأريخ طويل في حياة الناس لا يجادل فيها، وقد عبرت عن تلك العادة السيئة قصائدهم، بما فيها المعلقات، ثم هي بعد ذلك رغم كونها عادة اجتماعية تقليدية، كانت تمثل ركيزة هامة من ركائز الاقتصاد في مكة وما حواليها..

أقول في بيئة كهذه جاء الإسلام الحنيف، وكان من مقرراته الأساسية أن يمحو الخمر كعادة اجتماعية مستحكمة، ونظراً إلى

إدراك الإسلام البعيد لعمق تأثيرها في النفس، فقد تبنى الأسلوب التدرجي في إزالتها من واقع الحياة في الجزيرة العربية، فجاءت تعليماته بشكل مرحلي، حتى بلغت الذروة في تحقيق مهمتها الأساسية[١]:

١ـ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[٢]، بهذا النص المبارك وضعت التربية الإسلامية الخطوة الأولى على طريق إلغاء الخمر من قاموس الحياة الإسلامية، فأعلنت إن إثمه الأخلاقي والاجتماعي أكبر من نفعه الاقتصادي وهو موقف يمثل دور الحضانة لتهيئة النفوس المؤمنة لنفض أيديها من تعاطي هذا اللون من السلوك، وبالفعل فقد أحسّ ذوو القلوب الذكية من المؤمنين أن الله سبحانه لابد محرمها ولو بعد حين.

٢ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[٣]، وهو امتحان جد حكيم، فإن المسلمين المعتادين على شرب الخمر أحسوا بالحرج في مسألة إقامة الصلاة، فإن الصلوات الخمس مقسمة على ساعات اليوم، وهي

---

(١) منهج التربية الإسلامية: ٢٤٦، محمد قطب، ودعوة الحق ع٩ و١٠ و١٥ ص٧٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) النساء: ٤٣.

لا تترك مجالاً لتعاطي الخمر بعد هذا الإعلان، ومن هنا كان الإعلان الجديد بمثابة حظر خلقي وروحي على تعاطي الخمر قبل صدور التحريم النهائي ذي الصبغة القانونية.

٣ـ ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**﴾[١]، حيث مثل النص المبارك الخطوة الحاسمة في الحظر النهائي لشرب الخمر، واعتباره عادة اجتماعية لاغية، تمثل سمة من سمات الجاهلية المرفوضة جملة وتفصيلاً، وأصبح الخمر فور صدور الإعلان الجديد منكراً تعافه العقول وتتقزز عن سماعه النفوس، ولعلنا لا ندرك في الوقت الحاضر قيمة الأسلوب القرآني في التربية على الشكل الذي أوردنا ما لم نعرض مثالاً آخر لتشريع بشرى تعرض لنفس المشكلة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية ـ وهي من أرقى أمم العالم المعاصر ـ جرت نفس التجربة بالنسبة لعادة معاقرة الخمر، وذلك في عام ١٩١٩م على شكل تعديل دستوري (التعديل الثامن عشر)، وفي العام ذاته أيّد التعديل المذكور بإعلان حظر تعاطي الخمر في البلاد المذكورة، وقد أعدت الحكومة الأمريكية لهذا الغرض أسطولها بأجمعه لمراقبة

---

(١) المائدة: ٩٠.

السواحل، وطيرانها لمراقبة الجو، ووسائلها العلمية الأخرى[١]، بيد أن الموقف قد أسفر عن فشل ساحق للمشروع قرره التعديل الحادي والعشرون الذي صادق عليه مجلس الكونغرس الأمريكي عام ١٩٣٣، بعد بذل الهائل من الطاقات والجهود والزمن، كل ذلك كان بسبب فقدان العامل الديني الذي يضفي على المشروع الطابع التقديسي، بالإضافة على فقدان المنهج التدرجي الذي يساير العامل الديني في نموه المتزايد في النفوس، الأمر الذي وفق إليه المنهج الإسلامي في التربية توفيقاً منقطع النظير مما كان له أثره الأعمق في تجسيد عملية التغيير الاجتماعي في الحياة الإسلامية كلها.

---

(١) الظاهر القرآنية: ٣٠٧ وما بعدها، مالك بن بني، ترجمة عبد الصبور شاهين.

خاتمة المطاف

آن لي أن أُعيد إلى الأذهان ـ في نهاية حديثي ـ أن ما توفرت على عرضه لم يكن سوى الأطر العامة للتربية الإسلامية في مراميها ومعالمها ووسائلها المذهبية، كما طرحها كتاب الله العزيز والسنة المعتبرة، دون الإشارة إلى الوسائل ذات المقتضيات الظرفية التي سلكتها التربية الإسلامية عبر التجربة الإسلامية الماضية بأنماطها المتعددة، ذلك لأن تيار الحياة الإنسانية موارٍ بالحركة والتحول والتجديد فيما يطرح من وسائل وما يقدم من أدوات، ومن أجل ذلك فقد طرحت التربية الإسلامية من خلال وسائل مختلفة في العصور الإسلامية ابتداء من طريقة التلقي على القرآن الكريم والرسول المربي ﷺ، ومروراً بالحلقات التي تعقد في بيوت الله، وانتهاء بالمدارس العظيمة التي شهدتها دار الإسلام في بغداد وقرطبة والقاهرة وسواها، فكانت مناراً للعلم ومحطات عالمية للإشعاع الفكري، تعدى تأثيرها إلى أوروبا وغيرها من بقاع الأرض، وبناء على ذلك فلابد من أن نقطع من أن أهداف التربية الإسلامية، ومعالمها الأساسية ذات طابع ثابت ينصب أولاً وأخيراً

على الأخذ بيد الإنسان، فرداً ومجموعاً، إلى ما يحقق سعادته الحقيقية في بداية شوطه وفي نهايته ـ في دنياه وأُخراه ـ

وأما الوسائل المحققة لهذه المرامي الكبيرة، فهي ذات حركية مستمرة تنزع دوماً إلى المزيد مما ترفده بها الحياة الإنسانية المتدفقة المتجددة من أدوات جديدة، وهكذا فإن التربية الإسلامية لا تكتفي بوسائلها الخاصة ـ التي ألمحنا غليها فيما سبق من حديث ـ وإنما تحمل المربين وذوي الاختصاص في دنيا الإسلام على ابتكار أنجع السبل وأفضلها وأضمنها، لإنجاح مخططاتها، وتجسيد متطلباتها في الحياة، كما أنها لا تمنع مطلقاً من الإفادة من وسائل التربية لدى التجارب اللاإسلامية إذا لمست جدواها وعدم مخالفتها لروح الإسلام الحنيف، فإن طرق التدريس الحديثة، وأدوات التعليم المستجدة، والطرق الفنية المتبناة في إدارة الجهاز التربوي ـ في إطار التعليم والإعلام وسواها ـ وفي تصميم المناهج، كلها وسائل لا ترى التربية الإسلامية بداً من الإفادة منها وتفويضها لخدمة أهدافها العليا، الأمر الذي يوفر لها مزيداً من الفرص للوصول إلى مراميها المتوخاة.

وهذا ما يمنحها القدرة على احتفاظها بعناصر الأصالة فيها ـ كنهج وفلسفة تربوية ـ بالإضافة على استيعابها لكل ما يستجد من أدوات وطرق ووسائل تربوية عصرية بعد أن تفرغ عليها روحها الخاصة، وتطبعها بطابعها المعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، دار القلم القاهرة.

٣ـ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: سيد قطب، ط٣ ١٩٦٨.

٤ـ رسالة الإسلام: عدد ١-٢، س٣، ١٩٦٧، كلية أصول الدين ـ بغداد.

٥ـ منهج جديد للتربية والتعليم: أبو الأعلى المودودي، تقديم الدكتور عبد العزيز البسام، ط١، ١٩٦٢.

٦ـ رسالتنا: جماعة العلماء في النجف الأشرف، مط النعمان ١٩٦٦.

٧ـ الأخلاق: عبد الله شبر، مط النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٣.

٨ـ منهج التربية عند الإمام علي: محمد الحسيني الأديب، مط الحيدرية في النجف ١٩٦٧.

٩ـ النظام التربوي في الإسلامي: دراسة مقارنة، باقر شريف القرشي، مط الآداب النجف الأشرف، ط ١ ١٩٧١.

١٠ـ التربية وفلسفتها: د. نوري جعفر، مط الزهراء ـ بغداد، ١٩٥٢.

١١ـ الدستور القرآني في شؤون الحياة: د. محمد عزة دروزة، دمشق دار إحياء الكتب العربية.

١٢ـ الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية: محمد باقر الصدر، مط النعمان النجف الأشرف ١٣٨٤هـ

١٣ـ الإسلام، ينابيعه، مناهجه، غاياته: محمد أمين زين الدين، ط ١، مط النعمان ـ النجف ١٩٦٠.

١٤ـ دراسات في نفس الإنسانية: محمد قطب دار القلم.

١٥ـ الدين بين الأخلاق والقانون: محمد حسين فضل الله، ط ١، ١٩٦٦م، مط الآداب النجف الأشرف.

١٦ـ الشخصية الإسلامية: حسن محمد الشيخ علي، مط الغري ـ النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ

١٧ـ الإسلام في حياة المسلم: د. محمد البهي، دار الفكر ـ مصر الجديدة ١٩٧٠.

١٨ـ فلسفتنا: محمد باقر الصدر، ط ١، بيروت ١٩٦٢.

١٩ـ نظام العقوبات: عبد الرحمن المالكي، المحامي بيروت ط ١.

٢٠ـ الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر ط٣، ١٩٦٨ بيروت.

٢١ـ موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي: أحمد فتحي بهنسي، دار الشروق، مط دار الكتب، بيروت.

٢٢ـ مجلة كلية الفقه في النجف الأشرف: عدد ممتاز ٨ و٩، سنة ١٩٦٧، مط الآداب ـ النجف.

٢٣ـ المدخل في التربية: د. جابر العمر، ط١، مط المعارف ـ بغداد ١٩٥٣.

٢٤ـ الطفل بين الوراثة والتربية: محمد تقي فلسفي، ترجمة فاضل الميلاني، مط الآداب ـ النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٨.

٢٥ـ جامع السعادات: الشيخ محمد مهدي النراقي، ح١، مط الآداب ـ النجف الأشرف.

فهرس الآيات

البقرة

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾..... ٤٥

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾..... ٤٦

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾..... ٥٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ﴾..... ٨١

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا﴾..... ٨٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾..... ٨٢

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾..... ٨٧

آل عمران

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ﴾..... ٤٥-٥٢

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾..... ٥٤

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ﴾..... ٥٤

النساء

﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ﴾..... ٣١

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ﴾..... ٤٤

﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ ٥٣
﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ﴾ ٥٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ﴾ ٨٨

المائدة

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ﴾ ٤٦
﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ﴾ ٤٦-٨٨
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ﴾ ٤٩
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا﴾ ٨٢

الأنعام

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ﴾ ٥٤

الأعراف

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ﴾ ٤٦

الأنفال

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً﴾ ٦٠
﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ﴾ ٨١

التوبة

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ﴾ ٥٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا﴾ ٥٣
﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ٨١

الرعد

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى﴾.....٥٩

النحل

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ﴾.....٥٥

الحج

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ﴾.....٤٧

﴿اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي﴾.....٥٣

النور

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ﴾.....٨٢

الروم

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا﴾.....٥٩

لقمان

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا﴾.....٥٤

الأحزاب

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾.....٦٨

يس

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾.....٤٧

ص

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ﴾.....٤٢

الشورى

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ﴾ ٦٣

الحجرات

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ٤٩

الطور

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ٤٩

النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ﴾ ٦٣

التغابن

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا﴾ ٥٢

الملك

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ ٤٤

الحاقة

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٦٤

الأعلى

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ٥٢

الفجر

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ٤٤-٥٢

العاديات

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٤٤

محتويات البحث

الإهداء ١
قبس من سيرة الشهيد ٩
ولادته ٩
دراسته ١٠
مؤلفاته ١١
العمل الثقافي والإعلامي ١٦
العمل السياسي ١٧
من صفاته التي يشهد بها كل من عايشه ٢٠
الشهيد في ساعاته الأخيرة ٢١
مقدمة المؤسسة ٢٧
مقدمة ٢٩
مدلول التربية وأهدافها ٣٧
المعالم الأساسية للتربية الإسلامية ٣٩
١ـ الإيجابية ٤٠
أ ـ موقفه من الأشواق الروحية ومطالبها ٤١

محتويات البحث ١٠٢
ب ـ تلبيته للمتطلبات الجسمية ٤٣
ج ـ استجابته لمطالب العقل البشري ٤٦
د ـ رعايته لحقوق الفرد والجماعة معاً ٤٨
٢ـ الواقعية ٥١
٣ـ الشمول والمرونة ٥٥
٤ـ الإنقلابية ٥٨
٥ـ الطابع اليقيني ٦٢
من وسائل التربية الإسلامية ٦٧
١ـ التربية بالقدوة الصالحة ٦٧
أ ـ في إطار الأسرة ٧٠
ب ـ في إطار التعليم ٧٤
٢ـ المحاسبة الاجتماعية ٧٦
٣ـ المحاسبة القانونية ٨٠
٤ـ المجتمع الإسلامي ٨٤
٥ـ اعتماد التدرج في محو العادات المستحكمة ٨٧
خاتمة المطاف ٩١
مصادر البحث ٩٣
فهرس الآيات ٩٧
محتويات البحث ١٠١